المملكة العربية السعودية



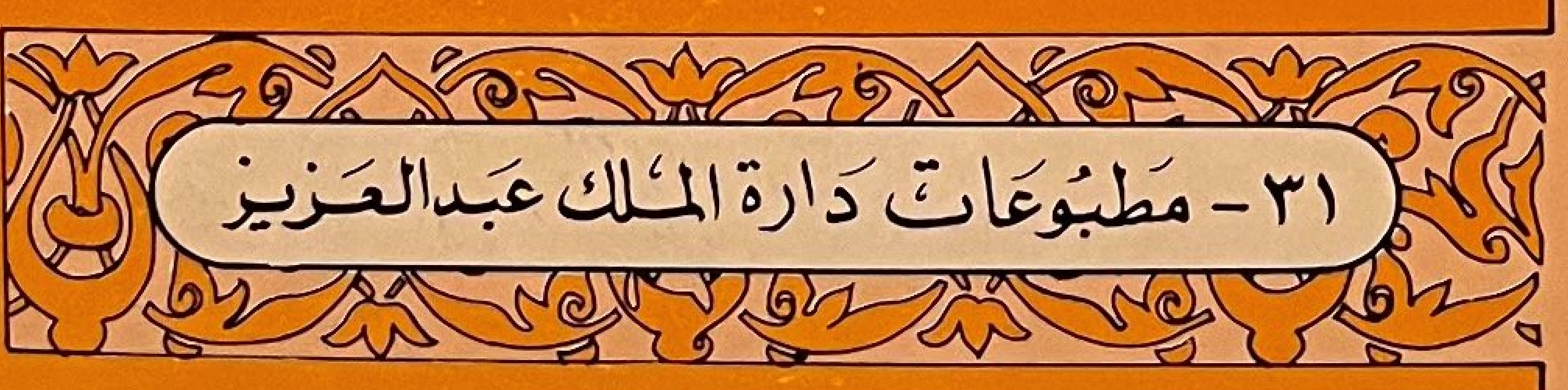
النفوذ البرتغالي في الخليج العربي

في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

نوال حمزه يوسف الصيرفي

بحث نالت به درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

الرياض
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



٣١ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز

النفوذ البرتغالي
في الخليج العربي

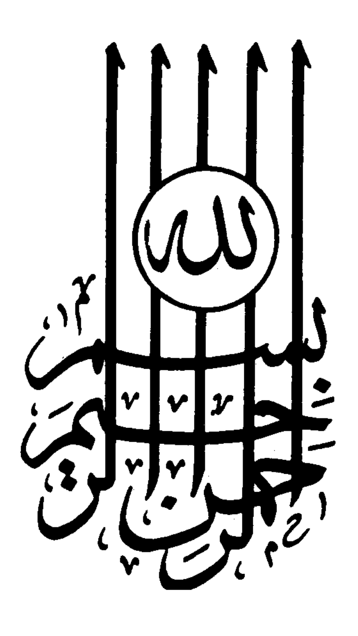
في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

نوال حمزه يوسف الصيرفي

بحث نالت به درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي

الرياض
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٣١ - مطبوعات دارة الملك عبد العزيز


بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فهذا كتاب آخر من الكتب التي تتصدى دارة الملك عبد العزيز لنشرها تحقيقا لتعميم الفائدة التي تتوخاها منذ آلت على نفسها الإسهام في نشر المطبوعات التي تدخل في دائرة اهتماماتها .

فهو كتاب في التاريخ الحديث لمنطقة الخليج العربي . ومعلوم اهتمام المملكة بكل ما يتعلق بالخليج ، وهى التى تشرف على جزء منه ، وتتأثر في الحاضر كما تأثرت فى الماضي بكل ما يجرى فيه . وما تكوين مجلس التعاون الخليجى إلا ثمرة من ثمرات اهتمام المملكة هى ودول الخليج الاخرى بأمر هذا الخليج .

وعنوان الكتاب هو « النفوذ البرتغالى في الخليج العربى في القرن العاشر الهجرى ـ السادس عشر الميلادى » تقدمت به مؤلفته الطالبة « نوال حمزة يوسف الصيرفى » الى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز فى ٩٩/١٤٠٠هـ-٧٩/١٩٨٠م فحصلت على درجة الماجستير .

وطبعى أن يعمل الباحثون على إجلاء تلك الفترة التى وصل البرتغاليون فيها إلى الخليج حتى انتهوا إلى تثبيت نفوذهم فى بعض أجزائه لفترة معينة من الزمن .

لقد كان البرتغاليون هم مقدمة الهجمات الاستعمارية الغربية الشرسة المتتابعة التى توالت على الخليج . وإذا كنا قد نجحنا بحمد الله فى التخلص منها جميعا فما أحرانا أن نعرف كيف جاءت ولماذا نجحت كل منهـا في تثبيت أقدامها فترة من الزمن ثم كيف رحلت عنا بفضل من الله أولا ثم بفضل كفاح أهل الخليج وبفضل عوامل سياسية واقتصادية أخرى .

ومما زاد الطين بلة أن هذه الهجمة البرتغالية الشرسة كانت امتدادا للروح الصليبية التى كانت قد سادت اوربا قبلها ، ولا نحتاج إلى القول إننا ما زلنا فى بلاد الإسلام بعامة وفي البلاد العربية بخاصة نحس بشكل ما أن هذه الروح الصليبية لم تمت تماما . وسيجد القارئ أن الباحثة قد جهدت في بيان كيف قاوم أهل الخليج تلك الهجمة البرتغالية الصليبية بقدر ما وسعهم الجهد ، وكيف أن الدولة العثمانية ـ وهى أقوى الدول الإسلامية وقتها ـ لم تتوان عن معاونتهم معاونة إن لم تؤد إلى القضاء على النفوذ البرتغالى فى الخليج إلا أنها على شكل لا يمكن إنكاره أو تجاهله قد أدت إلى إضعاف هذا النفوذ ، وهو الأمر الذى أدى إلى زواله فى النهاية . وحرصت الباحثة كذلك على بيان كيف

أفاد البرتغاليون فى كشوفهم الجغرافية التى وصلوا بها إلى الهند في نهاية المطاف من خبرات العرب الملاحية ـ وبخاصة عرب الخليج ـ وهنا أشارت الباحثة إلى أنه لم يثبت ثبوتا قاطعا أن ابن ماجد وهو مـن أبرز ربابنة السفن وقتها كان هو الذي أرشد البرتغاليين حتى أوصلهم إلى الهند .

وقد اعتمدت الباحثة على كثير من المصادر والمراجع العربية والإنجليزية أو المترجمة إلى الانجليزية فجاء بحثها موثقا توثيقا علميا .

وبعد فلعله قد وضح الآن لم حرصت الدارة على نشر هذا الكتاب ـ ضمن ما تنشره من كتب نرجو أن ينتفع بها القراء .

وبالله التوفيق والسداد .

الـــدارة



المقدمة

دراسة نقدية لأهم مصادر البحث

النفوذ البرتغالي في الخليج العربى في القرن العاشر الهجرى/السادس عشر الميلادى ، موضوع جديد من موضوعات حركة الجهاد الاسلامى ضد الصليبيين . فبعد أن عانى الصليبيون من ضراوة المقاومة الاسلامية في مدن وموانىء الشام ومصر فيما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين ، تحولوا الى مناطق اسلامية جديدة خاصة بعد حركة الكشوف البرتغالية ، وأصبح الخليج العربى مسرحا لحركة جهادية جديدة ضد البرتغاليين الصليبيين . وهذه الحركة الجهادية ضد البرتغاليين حفلت بافتراءات المؤرخين والمستشرقين الأوربيين . فقد تحدث معظم هؤلاء الباحثين الأوربيين عن النفوذ البرتغالي في الخليج بروح التعصب والحقد الأعمى ضد الاسلام والمسلمين ، مما ضخم كثيرا من الوقائع وأظهر البرتغاليين بمظهر بطولي زائف .

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين المسلمين قد تناولوا موضوع تاريخ الخليج في عهد الدولة العباسية باعتباره أقرب البحار الى مركز الخلافة العباسية في بغداد [1] ، وتناول البعض

---

(١) انظر على سبيل المثال ، سليمان العسكري ، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٧٢ م.

تاريخ الخليج بعد القرن العاشر الهجرى عندما تنبه الاوربيون لأهمية موقع الخليج العربى على طريق التجارة بين الشرق والغرب [١] ، الا أن الدراسات الخاصة بتاريخ الخليج في القرن العاشر الهجري بالذات لم تحظ حتى الآن بدراسة علمية موضوعية من وجهة النظر الاسلامية . ومن هنا جاءت أهمية موضوع هذه الرسالة .

وقد استعان البحث بالمعلومات الواردة في المصادر العربية المعاصرة ، لاستنباط وجهة النظر الاسلامية منها حول الغزو البرتغالي للخليج العربي . ومن أهم المصادر التي استفاد منها البحث مؤلفات : ابن ماجد ، وابن اياس ، وابن الديبع ، وزين الدين، والنهروالي، والعيدروسي ، وابن المطهر ، وسوزا Sousa

أما ابن ماجد ، فهو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد ابن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف السعدى بن أبي الركائب النجدى ، بحار وعالم من علماء البحر والفلك المسلمين ، عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري

(١) انظر على سبيل المثال، قدرى قلعجي، الخليج العربي، ط بيروت ١٩٦٥، صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ط القاهرة ١٩٧٤، سيد نوفل، الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، ط القاهرة ١٩٦١، أحمد أبو حاكمة، تاريخ شرق الجزيرة العربية، بيروت ١٩٦٥

وأوائل القرن العاشر ، وكان له الفضل الأول في ارشاد البحار البرتغالي فاسكودى جاما الى طريق الهند [1] ، وقد أغفلت معظم المصادر العربية ذكر هذا الملاح العربي وتاريخ حياته ، غير أنه تحدث عن نفسه في مؤلفاته ومنها نعلم أن أصله يرجع الى نجد في وسط الجزيرة العربية ومولده في جلفار (رأس الخيمة) . وكتب ابن ماجد مؤلفات كثيرة في علوم البحر أهمها كتاب « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » ، « ثلاث أزهار في معرفة البحار » ، « وحاوية الاختصار في أصول علم البحار » و « أرجوزة بنات نعش والذهبية » ، « وضريبة الضرائب » و « كتاب المول » و « المعلقية » [2] وقد استعان البحث بالكتابين الأولين ، ومعظم مؤلفات ابن ماجد لا تزال مخطوطة [3] .

ويعتبر كتاب « ثلاث أزهار في معرفة البحار » لابن ماجد من أهم المصادر التي أمدت البحث بمعلومات هامة عن المصاعب التي لاقاها البرتغاليون في ساحل شرق أفريقيا نظرا

(١) سيأتى ذكر ذلك في هذه الرسالة فيما بعد .

(٢) انظر ابن ماجد، كتاب الفوائد، مقدمة المحقق ، ص ٧ — ٩، انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية، مادة شهاب الدين .

(٣) قام ابراهيم خورى بتحقيق ونشر كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، ط دمشق، ١٣٩٠ هـ، كما قام ثيودور شوموفسكى بتحقيق كتاب ثلاث أزهار في معرفة البحار، وترجمة محمد منير مرسى، ط القاهرة ١٩٦٩ م .

لعدم معرفتهم بنظام هبوب الرياح الموسمية . ولما كان ابن ماجد بحارا قضى معظم حياته على ظهر السفن ، لذا كان شاهد عيان لممارسة البرتغاليين أعمال القرصنة في المحيط الهندي ، وأشار الى ذلك في كتابه [1] .

أما كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لابن ماجد فيحتوى على معلومات اجتماعية واقتصادية وسياسية كانت ذات فائدة كبيرة للبحث ، هذا فضلا عن معلومات قيمة عن أهمية منهج التجريب في علوم البحار وأهمية الرياح الموسمية للملاحة [2] .

وتحدث ابن ماجد في كتابه عن الحالة السياسية للبحرين وعمان وهرمز في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري مما أفاد البحث عند دراسة موضوع الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي [3] .

وكتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن اياس يعتبر من أهم مصادر البحث . وابن اياس هو محمد بن أحمد بن اياس (٨٥٢ ـ ٩٣٠ هـ/ ١٤٤٨ ـ ١٥٢٣ م) مؤرخ مصري من مؤرخي القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي من طبقة

---

(١) انظر ابن ماجد. ثلاث أزهار. ص ٤٣ ــ ٤٥ .
(٢) انظر ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ٣٠٩ .
(٣) انظر المصدر السابق. ص ٣٠٠ ــ ٣٠٢ .

« أولاد الناس » أي أولاد أمراء المماليك ، فجده اياس الفخرى ، كان مملوكا من مماليك السلطان المملوكي الظاهر برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة . ولمكانة أسرة ابن اياس في المجتمع المملوكـــي أصبحت له صلات قوية بالأمراء وأصحاب المناصب الكبرى في السلطنة المملوكية . وقد عاصر ابن اياس انهيار سلطنة المماليك على أيدي العثمانيين وعبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ، وبداية الجهاد الاسلامى ضد البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

واستطاع ابن اياس بذكائه ودقة ملاحظته تدوين هذا كله في كتابه المشهور بدائع الزهور في وقائع الدهور . وكتاب بدائع الزهور لابن اياس يلقي أضواء كثيرة على تاريخ مصر والشام والحجاز حتى سنة ٩٢٨ هـ/١٥٢١ م . وتتميز كتابات ابن اياس منذ اعتلاء السلطان المملوكي قايتباى العرش سنة ٨٧٣ هـ/١٤٦٨ م بذكر تفاصيل الحوادث على شكـــل سجـل يومي وشهري . ودوّن ابن اياس في كتابه كثيرا من الحوادث العامة والخاصة ، وتتبع آثار هذه الحوادث على عامة الناس [١] .

وقد استفاد البحث فائدة كبيرة من الحوادث التي دونها ابن

---

(١) حاجي خليفة. كشف الظنون. جـ ١. ص ٢٢٩ .

اياس في الفترة التي عاصر وقائعها منذ بداية القرن العاشر الهجري ، فقد أسهب في وصف تدهور الحالة الاقتصادية ، في الدولة المملوكية بعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح وتحركاتهم في المحيط الهندي . كما أمدّنا ابن اياس بمعلومات قيمة عن مراحل تجهيز الحملات التي بعث بها السلطان الغوري الى المحيط الهندي للتصدي للبرتغاليين ، ومصير هذه الحملات . وانفرد ابن اياس بذكر معلومات تاريخية هامة عن سقوط امارة البحرين في ايدي البرتغاليين عام ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م وهي معلومات لم ترد في أي مصدر تاريخي آخر [١] .

وتعتبر كتابات ابن الديبع من أهم مصادر البحث . وابن الديبع هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني الزبيدي الشافعي المتوفي سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦ م . ولد بزبيد في اليمن سنة ٨٦٦ هـ/١٤٦١ م ونشأ بها وتلقى علومه فيها وفي مكة المكرمة . عاش ابن الديبع في نفس الفترة التي عاشها مؤرخ مصر ابن اياس غير أنه كان في بلاد اليمن ، وعاصر ابن الديبع آخر ملوك الدولة الطاهرية عامر ابن عبد الوهاب (٨٩٤ هـ - ٩٢٣ هـ) وكان له حظوة عنده [٢] .

(١) سيأتي ذكر ذلك فيما بعد .

(٢) الغزى ، الكواكب السائرة ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، الشوكاني ، البدر الطالع ، جـ ١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

ومن أهم مؤلفات ابن الديبع تيسير الوصول الى جامع الاصول ، وبغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد ، وقرة العيون بأخبار اليمن الميمون [(١)] .

وترجع أهمية كتابات ابن الديبع لموضوع البحث الى أنه شهد انهيار الدولة الطاهرية علي يد حسين الكردى أثناء مرورة على اليمن متوجها الى ساحل الهند سنة ٩١٣ هـ/١٥٠٧ م بمنازلة البرتغاليين في جزيرة ديو . وتحدث عن ذلك ، كما أن ابن الديبع وصف محاولة البرتغاليين الاستيلاء على مدخل البحر الأحمر سنة ٩١٩ هـ/١٥١٣ م عندما هاجموا عدن وكمران وزيلع علي الشاطىء الشرقي لافريقية ، كما أنه أشار الى استيلاء البرتغاليين علي هرمز . وللأسف لم يمدنا ابن الديبع بمعلومات هامة عن منطقة الخليج العربي رغم أنه عاش مرحلة ازدياد النفوذ البرتغالي في الشرق .

ويعتبر كتاب « تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين» لزين الدين [(٢)] من أهم وأقدم المصادر العربية التي اقتصرت على ذكر أحوال النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي مع الاشارة الى الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية . وقد كان هذا

(١) حقق كتاب قرة العيون محمد بن علي الأكوع، وطبع في القاهرة ١٣٩٧ هـ .

(٢) ليس للمؤلف ترجمة في المصادر والمراجع المعروفة ولم يتحدث عن نفسه في كتابه، ولكن حوادث الكتاب تنتهى عام ٩٩١ هـ/١٥٨٣ م .

المصدر خير معين في هذا البحث ، حيث تميزت كتابة زين الدين بدقة الملاحظة والتحليل بحيث أمدنا بصورة واضحة عن الاهداف الصليبية والاقتصادية التي دفعت بالبرتغاليين لاجتياز رأس الرجاء الصالح . كما سرد زين الدين في كتابه إغارات البرتغاليين على سواحل الهند والمحيط الهندي ، كما أمدنا بمعلومات تاريخية وافية عن الحملات التي بعث بها سلاطين المماليك الى الساحل الهندي سنتي ٩١٤ هـ ، ٩٢١ هـ وأيضا الحملات التي بعث بها العثمانيون سنتي ٩٣٨ هـ ، ٩٤٤ هـ [١] .

أما كتاب « البرق اليماني في الفتح العثماني » لقطب الدين النهروالي المتوفي سنة ٩٨٨ هـ أو ٩٩١ هـ/ ١٥٨٠ م أو ١٥٨٣ م فيعتبر من مصادر البحث الهامة [٢] .والنهروالى هو قطب الدين محمد بن أحمد علاء الدين بن محمد بن قاضي خان ، مؤرخ وفقيه وشاعر من اعلام القرن العاشر الهجري . اتقن اللغتين التركية والفارسية ، مما أكسبه ثقافة واسعة في عصره . ورحل في طلب المعرفة الى مصر والشام واستانبول وتولى منصب القضاء والتدريس في مكة المكرمة . واكتسب النهروالي مكانة رفيعة

(١) انظر زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤٠ — ٤٢، ٥٧ — ٥٩ .

(٢) اختلفت المصادر في تحديد وفاة النهروالى، انظر الغزي، الكواكب السائرة، ج ٣، ص ٤٤ - ٤٥ . حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ١٢٦ ، الشوكاني، البدر الطالع، ج ٢، ص ٥٧ .

لدى السلاطين والوزراء العثمانيين المعاصرين ، هذا بالاضافة الى مكانته العالية لدى أشراف مكة [1] .

وللنهروالي مؤلفات كثيرة أهمها : « البرق اليماني في الفتح العثماني » والإعلام بأعلام بيت الله الحرام » ، « وتذكرة النهروالى» ، والتمثيل والمحاضرة بالأبيات المفردة النادرة » ، و « طبقات الحنفية » ، و « الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية » [2]

ومؤلفه « المسمى » البرق اليماني في الفتح العثماني « من أكثر كتبه أهمية بالنسبة للبحث ، حيث تناول النهروالى في هذا الكتاب موضوع ضم العثمانيين لبلاد اليمن في القرن العاشر الهجري . واحتوى الكتاب على معلومات هامة عن عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح ، وتحركاتهم في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري ، والمحاولات التي قام بها البرتغاليون لعقد تحالف مع أمراء عدن ضد الدولة العثمانية [3] .

وذكر النهروالي في « البرق اليماني » تفاصيل حملة سليمان باشا الخادم التي أرسلها السلطان سليمان القانوني للتصدي للنفوذ

---

(١) الشوكاني . البدر الطالع . جـ ٢ ، ص ٥٧ .

(٢) النهروالي . البرق اليماني . مقدمة المحقق . ص ٣٩ ، ٤٧ .

(٣) انظر البرق اليماني . ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ .

البرتغالي في المحيط الهندي سنة ٩٤٥ هـ/١٥٣٨ م ، ومما يؤخذ على النهروالي أنه حابى العثمانيين كثيرا ، نظرا للمكانة التي حاز عليها عندهم . وقد أهدى هذا الكتاب الى القائد العثماني سنان باشا فاتح اليمن ، كما أهداه الى السلطان العثماني مراد خان ابن السلطان سليم (٩٨٢ هـ - ١٠٠٣ هـ) [١] .

ومن المصادر الهامة أيضا لموضوع البحث كتاب المؤرخ عبد القادر العيدروسي (٩٧٨ هـ - ١٠٣٨ هـ/١٥٧٠ م - ١٦٢٨ م) المسمى « النور السافر عن أخبار القرن العاشر » [٢] .

والمؤلف هو العلامة عبد القادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ ابن عبدالله العيدروسي الحسني اليمني ، ولد بمدينة أحمد أباد في الهند ، وله مؤلفات عديدة منها « الحدائق الخضرة في سيرة النبى عليه السلام وأصحابه العشرة » ، والمنتخب المصطفى في أخبار مولد المصطفى » .

أما كتابه « النور السافر » فقد احتوى على تراجم وأهم حوادث القرن العاشر مثل سقوط سلطنة المماليك في مصر ، ومهاجمة البرتغاليين لعدن عام ٩١٧ هـ /١٥١١ م . وذكر العيدروسي في كتابه « معلومات هامة عن فتوح الامام أحمد بن

---

(١) النهروالي. البرق اليماني. ص ٦.

(٢) صححه وضبطه محمد رشيد افندى الصفار وطبع في بغداد ١٣٥٣ هـ.

ابراهيم القرين في الحبشة » ، واستيلاء البرتغاليين على مدينة هرمز ، وعلى جزيرة ديو على الساحل الهندي سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م [١] .

وقد استفاد البحث أيضا من المعلومات القيمة الواردة في النور السافر عند الحديث عن مهاجمة البرتغاليين للشحر في جنوب شبه الجزيرة العربية على عهد السلاطين الكثيريين وعن علاقة الشحر بالدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري [٢] .

أما مخطوطة « روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح » لابن المطهر فهي من أهم مصادر البحث . وابن المطهر هو السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر بن الامام شرف الدين اليماني الكوكباني المتوفي سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م ، وهو مؤرخ وشاعر له مؤلفات عديدة منها روح الروح والنفحة اليمنية في الدولة المحمدية ، أهداهما الى الوزير التركي محمد باشا . وقد عاصر ابن المطهر الامام القاسم بن محمد امام ومؤسس الدولة القاسمية في اليمن ، وكان يفد اليه واحتل مكانة رفيعة لديه [٣] .

أما مخطوطة « روح الروح » لابن المطهر تقع في (٥١٥)

---

(١) العيدروسي . النور السافر . ص ٦٢ . ١٩٨ . ٢٥٢ .

(٢) سيأتي ذكر ذلك فيما بعد .

(٣) الشوكاني . البدر الطالع . جـ ١ . ص ٥١٦ .

ورقة وتنتهي بحوادث جرت في اليمن سنة ١٠٢٩ هـ ، واحتوت المخطوطة على معلومات هامة للبحث ، خاصة بمحاولات البرتغاليين اختراق البحر الأحمر ، والفتح العثماني لليمن ، وتحالف العثمانيين مع مسلمي شرق افريقية . كما أورد ابن المطهر في كتابه خبر استيلاء البرتغاليين على هرمز مفتاح الخليج العربي [١] .

ومن أهم المصادر التي أفادت البحث فائدة كبيرة فيما يتعلق بتفاصيل الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج العربي ، هو كتاب المؤرخ البرتغالي فاريا سوزا Faria Sousa الذي عاش فيما بين سنتي (٩٩٩ هـ - ١٠٥٩ هـ/ ١٥٩٠ - ١٦٤٩ م) [٢] .

وعنوانه :

The history of the discovery and Conquest of India by the **Portugue**.

(تاريخ اكتشاف وغزو البرتغاليين للهند) .

وقد ترجم الكتاب الى اللغة الانكليزية جون ستيفن John Stevens ويقع الكتاب في ثلاثة أجزاء ، يحتوى على تاريخ مفصل للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي وجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر .

---

(١) انظر ابن المطهر، روح الروح، ورقة ٧، ٩، ٢٩، ٣٤، ٣٩.

(٢) Every man's Encyclopedia, Article Faria.

ودوّن المؤرخ فاريا سوزا في كتابه مراحل الغزو البرتغالي للخليج العربي ومهاجمة البرتغاليين لجنوب شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر وساحل افريقية الشرقي . كما حفل الكتاب بمعلومات مفيدة عن اسلوب الحياة التي عاشها البرتغاليون في بحار الشرق ، مما أفاد البحث عند دراسة موضوع ممارسة البرتغاليين لعمليات القرصنة في المحيط الهندي والخليج العربي [١] .

ويؤخذ على فاريا سوزا تعصبه الشديد للبرتغاليين وروحه الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين ، لذلك كان يجب أخذ رواياته بحذر شديد ، خاصة فيما يتعلق بالاسلام والمسلمين مثل وصفه للقادة الاتراك بالقراصنة ، والمبالغة في عدد القتلى من المسلمين في المعارك التي جرت ضد البرتغاليين ، وتصوير عمليات الارهاب والوحشية أثناء غزو البرتغاليين للخليج العربي على أنها من أعمال البطولة البرتغالية [٢] . لذلك كان لا بد من مقابلة المعلومات الواردة في كتابه « تاريخ اكتشاف وغزو البرتغاليين للهند » بما ذكره المؤرخون المسلمون المعاصرون أمثال زين الدين ، والنهروالي ، والعيدروسي ، وابن المطهر ، وتفنيد هذه المعلومات ، وفي حالة عدم ذكر الحادثة في المصادر العربية أخضعناها للنقد والتحليل بما يتفق مع العقل والمنطق .

---

(١) سيأتي ذكر ذلك فيما بعد .

(٢) Sousa. The history of the discovery, Vol. (1). P. 126, 127, 134; Vol. (2). P. 163.

ويحتوى هذا البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، احتوت المقدمة على دراسة نقدية لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث .

أما الفصل الأول وعنوانه « الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي » فقد تناول دراسة العوامل التي أدت الى ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل الغزو البرتغالي مثل العوامل الجغرافية ، وتعدد الموانىء التجارية الصالحة لرسو السفن ، وحالة الأمن في الخليج العربي . وشرح الفصل تأثير هذه العوامل جميعها على ثراء أهالي الخليج العربي وازدهار تجارتهم ، واحتوى الفصل على معلومات خاصة بخطوط الملاحة التي ربطت بين الخليج العربي ومصادر تجارة الشرق ، وهي الهند والصين وشرق افريقية والبحر الأحمر . كما تحدث الفصل الاول أيضاً عن أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع الشرقية الى موانىء الشام ، ومراحل ازدهار هذا الطريق وفترات الركود التي اصابته أحيانا نتيجة اختلال الأمن في فترات مختلفة ، وتناول الفصل الأول حالة الخليج العربي السياسية في القرن التاسع الهجري ، موضحا الاحوال السياسية للعراق وفارس والامارات العربية في الشاطىء الغربي للخليج العربي حتى يسهل المقارنة بين أحوال الخليج العربي السياسية قبل النفوذ البرتغالي وبعده .

أما الفصل الثاني وعنوانه «كشف طريق رأس الرجاء

الصالح ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي » فقد درس العوامل التي أدت الى حركة الكشوف الجغرافية وبخاصة العوامل الدينية الصليبية التي احتلت المقام الأول بين العوامل الاقتصادية والجغرافية وغيرها . وناقش الفصل الثاني موضوع فضل البحارة العرب في كشوف البرتغاليين ، ودور اليهود في نقل المعلومات البحرية العربية الى البرتغاليين قبل كشفهم لرأس الرجاء الصالح . كما تناول الفصل دور الملاح العربي ابن ماجد في كشوف البرتغاليين ودوره في ارشاد أهم رحلة قام بها البرتغاليون الى الشرق بقيادة فاسكو دى جاما . كما درس هذا الفصل جهود الملاحين البرتغاليين بارثلميو دياز وفاسكو دى جاما في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح . وناقش الفصل النتائج التي ترتبت على هذا الاكتشاف ، ومن أهمها تحقيق الأهداف الصليبية ، وتحويل طريق التجارة من البحر الاحمر والخليج العربي الى الطريق المار حول افريقية ، وانهيار تجارة سلاطين المماليك والبنادقة .

وعالج الفصل الثالث وعنوانه « النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري وموقف العثمانيين والصفويين » عدة نقاط هي غزو البرتغاليين لمراكز التجارة في الخليج العربي وهذه المراكز هي قلهات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة . كما تتبع الفصل مراحل توغل البرتغاليين في الخليج العربي ، وما صاحبه من انتهاك

لحقوق الانسان وممارستهم لاعمال الارهاب والوحشية والظلم من أجل فرض السيطرة البرتغالية ومحاربة الاسلام والمسلمين .

كما شرح الفصل الثالث حوادث تدمير هؤلاء الغزاة البرتغاليين الصليبيين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي سواء بتدمير الموانىء وتحطيم السفن الراسية فيها أو بممارسة أعمال القرصنة والنهب للسفن التجارية العربية المارة في الخليج ، وفرض رقابة شديدة على السفن التجارية وارغامها على حمل التصاريح البرتغالية أثناء المرور في مياه الخليج العربي .

وأخيراً ، ناقش الفصل الثالث موقف أبناء الخليج العربي من هذا الغزو ، ومحاولاتهم خلع نير السيطرة البرتغالية ، والحملات التي بعثت بها الدولة العثمانية الى الخليج العربي للتصدي لذلك النفوذ البرتغالي . كما ناقش الفصل الثالث أيضا موقف الصفويين ومحاولتهم عقد حلف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية .

وتناول الفصل الرابع وعنوانه « نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري » موضوع محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى موانىء مصر والشام .

والقى هذا الفصل الضوء على حملات البرتغاليين في جنوب شبه الجزيرة العربية ومدخل البحر الأحمر وتوغلهم حتى جدة

باعتبار أن هاتين المنطقتين تمثلان مركزين لاعداد وتجهيز الحملات العثمانية المتوجهة الى الخليج العربي . كما شرح الفصل الرابع أيضا ردود الفعل العثمانية على الحملات البرتغالية ، ثم تأثير هذا النفوذ على حركة التجارة المارة عبر الخليج العربي . كما تناول الفصل موضوع تحالف البرتغاليين مع الاحباش لضرب القوى الاسلامية في شرق افريقية وتكوين جبهة صليبية ضد الدولة العثمانية في البحر الأحمر حماية لمصالحهم في الخليج . وتناول هذا الفصل دراسة الموقف العثماني من هذا التحالف ، وتعرض باختصار لموضوع التنافس بين القوى الأوروبية للسيطرة على تجارة الخليج العربي في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري . بعد أن تنبهت القوى الأوربية الأخرى لأهمية تجارة الشرق وأهمية معبر هذه التجارة وهو الخليج العربي . كما ناقش الفصل الرابع أسباب تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي مع بداية القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي .

وأما خاتمة البحث فقد ناقشت أهم النتائج التي تم التوصل اليها ،واشتمل البحث على مجموعة من الخرائط التي توضح كثيرا من مواقع الموانىء والمدن والأماكن التي ورد ذكرها في فصول الرسالة ، فضلا عن خطوط الملاحة ، ورحلة فاسكودى جاما الى الهند .

واني أتوجه بشكري وتقديري الى استاذى المشرف على هذه

الرسالة الأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع الذي لم يدخر جهدا في سبيل توجيهي وارشادي في هذا البحث . كما أشكر أخوتي الكرام الذين لم يبخلوا بمساعدتي جهد طاقتهم في جمع مصادر هذا البحث ، جزاهم الله عني خير الجزاء .

وختاما الله أسأل أن أكون قد وفقت ، وأرجو أن يكون هذا البحث قد ألقى ضوءا على فترة هامة وغامضة في تاريخ الخليج العربي ، والله من وراء القصد انه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي

١- عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي

٢- خطوط الملاحة بين الخليج ومصادر تجارة الشرق.

٣- أهمية طريق الخليج في نقل السلع الشرقية إلى موانئ الشام.

٤- الأحوال السياسية للخليج العربي في القرن التاسع الهجري.



(١) عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي

يأتي في مقدمة عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي ، العامل الجغرافي . فالخليج العربي يمتد على شكل ذراع بحري في جنوب غرب آسيا ، وهو أحد أذرع المحيط الهندي حيث يمثل البحر الأحمر الذراع الآخر والموازى له ، ويذكر هذه الحقيقة ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان فيقول : « بحر فارس هو شعبة من بحر الهند الأعظم » [١] وتقدر مساحة الخليج بسبعة وتسعين ألف ميل مربع أي ما يعادل ٢٥٠ ألف كيلومترا. ويبلغ طوله من البصرة الى ساحل عمان نحو ٨٠٠ كيلومترا، ويبلغ عرضه ٢٢٨ كيلومترا في أقصى اتساعه شرق جزيرة قطر ، وبين ستة وأربعين كيلومترا عند مضيق هرمز [٢] . ويشتمل الخليج العربي على عدد كبير من الجزر الصغيرة مما شجّع على الملاحة فيه حيث تجد السفن دائماً ملجأ لها وقت العواصف البحرية الخطرة .

---

(١) ياقوت الحموى. معجم البلدان. جـ ١. ص ٣٤٣. سليمان العسكرى. التجارة والملاحة في الخليج في العصر العباسي. ص ٧ — ٨.

(٢) سليمان العسكري. نفس المرجع. ص ١٨٧ — ١٨٨. قدرى قلعجي. الخليج العربي. جـ ١. ص ٢٦.

ويمثل الخليج العربي بموقعه الفريد نقطة وصل بين القارات الثلاث ، آسيا ، وافريقية ، وأوربا . وكذلك يمثل جسرا طبيعيا لتجارة الشرق الآتية من الهند والشرق الأقصى ، والذاهبة الى أوربا ، باتصاله بأرض الهلال الخصيب (العراق والشام) ، كذلك التجارة القادمة من أوربا عبر الشام والعراق فالخليج العربي [1] .

ولم يكن الخليج معبرا تجاريا فحسب وانما هو أيضا من مراكز التجارة الهامة ، فتتفرع منه طرق برية أسهمت في نقل المتاجر الواردة برا الى المدن الداخلية مما عزز نشاط الطريق البحري في الخليج ، وكذلك في تصدير سلع بلدان الخليج الى أنحاء العالم المعروف آنذاك . فعلى الشاطىء الشرقي للخليج في اقليم فارس تقع الموانىء التجارية الهامة مثل سيراف وهرمز ومنها تنقل كثير من المتاجر بواسطة القوافل الى داخل البلاد . ومن الموانىء الهامة الواقعة على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، تقوم القوافل بتوزيع المتاجر الى داخل شبه الجزيرة العربية . أما النافذة الثالثة للخليج فهي التي تطل على بلاد الرافدين وهي أهم النوافذ وأكثرها شهرة [2] .

---

(١) سليمان العسكري ، نفس المرجع ، ص ٥ — ٧ . قدرى قلعجي . نفس المرجع . ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢) سليمان العسكرى ، نفس المرجع ، ص ١٤ .

وعرف الملاحون نظام هبوب الرياح الموسمية في الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر فساعدهم ذلك على اتقان ركوبه ، وبالتالي نظموا رحلاتهم الى الشرق الاقصى والهند وشرق افريقية . وتختلف مواقيت الرياح الموسمية في المحيط الهندي عنها في الخليج العربي ، فالسفن الذاهبة الى شرق افريقية من الخليج العربي تدفعها الرياح الشمالية الشرقية (شتاء) في النصف الثاني من نوفمبر والنصف الأول من ديسمبر ، وتعود الى الخليج تدفعها الرياح الجنوبية الغربية (صيفا) كما أن السفن القاصدة الى الصين كانت تدخل الخليج العربي في شهري سبتمبر وأكتوبر ، وتعبر المحيط من مسقط الى ساحل المليبار بالهند تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ما بين شهري نوفمبر وديسمبر [1] .

ولأهمية هذه الرياح للملاحة فقد ذكرها علماء الفلك والبحر المسلمون في مؤلفاتهم ، ووضعوا قوانين لإرشاد السفن أثناء هبوب هذه الرياح ، وحذروا من الجهل بها ، فيقول ابن ماجد : « فيجب أن نذكر الرياح ، وحذروا من الجهل بها ، فيقول ابن ماجد : « فيجب أن نذكر مواسم السفر التي لا يستوى السفر الا بها ، لأن فوات الموسم وتقديمه وتأخيره ، داع

(١) سليمان العسكرى . نفس المرجع . ص ١٩٦ . ٢٠١ . نعيم زكي فهمي . طرق التجارة الدولية . ص ١٦٥ .

الى مالا خير فيه » [1] . ويذكر سليمان المهرى في كتابه المنهاج [2] الفاخر هذا المعنى فيقول : « اعلم أن الارياح الاصلية أربعة : شمال وجنوب وقبول ودبور .... ولهذه الارياح في البحر المعمور المسلوك حدود في أوائلها وأواخرها وأواسطها تسمى مواسم وهي معلومة عند سفار البحر » . ويقول في تحذيراته لربان السفينة : « الحذر أولا من ثلاثة أمور : الأولى : تأخير الموسم وتفويته خصوصا من الهند » . ويذكر في كتابه « العمدة المهرية » [3] عدة أمور يجب اتباعها اثناء هبوب الرياح أهمها على حد قوله : « تفقد في جميع أسفارك آلات المركب جميعها كالسكان ، خصوصا مع الارياح في كل يوم وتصغير القلع على المركب خصوصا في الليل وفي وقت الغيوم والأمطار والأرياح » .

وكان لتعـدد الموانىء التجارية الصالحة لرسو السفن في الخليج العربي الفضل الكبير في زيادة أهمية الخليج ومن أهم عوامل ازدهار حركة التجارة فيه .

ومن أهم الموانىء التي كونت شهرة الخليج العربي على مر

---

(١) ابن ماجد، كتاب الفوائد، ص ٣٠٩.
(٢) سليمان المهرى، المنهاج الفاخر، ص ١٠١.
(٣) سليمان المهرى، العمدة المهرية، ص ١٩٣.

العصور سيراف وهرمز والبصرة والبحرين والقطيف وعمان وصحار ومسقط وقلهات .

فأما سيراف فهي من أقدم المراكز التجارية وأكثرها ازدهارا في الخليج العربي . وتقع سيراف على الشاطىء الشرقي للخليج جنوب شيراز ، وهي ميناء بلاد فارس على الخليج العربي ، وبلغت سيراف مبلغا عظيما من الازدهار حتى أصبحت تنافس البصرة في الغنى والثراء ، وقد سماها المقدسي دهليز الصين وخزانة فارس وخراسان ، وعن طريقها تمر صادرات فارس ووارداتها [1] .

وتقصد سيراف السفن القادمة من شرق افريقية والهند والصين كما تقلع منها السفن الذاهبة الى عدن وعمان والهند والصين . ورغم جدب أرضها وشدة حرها فقد كانت مدينة عامرة مشهورة بكثرة بنيانها وثراء أهلها الذي يصل الى حد الترف . فيذكر الاصطخرى أن ثروة الرجل من أهل سيراف تصل الى ألف ألف (مليون) درهم يكتسبها من تجارة البحر [2] .

---

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٢٦ ، انظر أيضا الاصطخرى . المسالك والممالك . ص ٣١ ، جورج حوراني ، العرب والملاحة ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ ، آدم متز . الحضارة الاسلامية ، ص ٤٣٧ .

(٢) الاصطخرى . المسالك والممالك ، ص ٩٢ — ٩٣ . انظر أيضا الحميرى . الروض المعطار . ص ٣٣٣ .

وقد استولى على سيراف أمير جزيرة قيس التي تقع في مواجهة سيراف ، وزارها الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي وذكر أن قيسا هي سيراف (١) . وقد حوّل هذا الأمير التجارة عنها الى بلاده ، فأخذت سيراف في الانهيار أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي (٢) .

أما هرمز فهي ميناء رئيسي لبلاد فارس تقوم على مضيق الخليج الذي أطلق عليه اسم مضيق هرمز . وترجع أهميتها الى أنها مركز تجاري للسلع الشرقية ، كما أنها نقطة التقاء القوافل المحملة بالمتاجر من السند ووسط فارس ، وتصدر عن طريقها أيضا سلع مقاطعتى كرمان وفارس (٣) . ويتميز طقس هرمز بالحرارة الشديدة خاصة بالقرب من البحر ، لذلك كان تجارها يقيمون مساكنهم على بعد فرسخين من الشاطىء في القرى . ورغم ذلك فهي مدينة زراعية كثيرة النخل والمياه مما جعلها ميناء لتموين السفن أيضا (٤) .

---

(١) ابن بطوطة. تحفة النظار. ص ٢٧٨. ٢٨٠.

(٢) نعيم زكي فهمي. نفس المرجع. ص ١٢١.

(٣) الاصطخرى. المسالك والممالك. ص ٩٩. ياقوت الحموي. معجم البلدان. جـ ٥، ص ٤٠٢. سليمان العسكري. نفس المرجع. ص ١٠٩. ١١١.

(٤) الاصطخرى. المسالك والممالك. ص ٣١. ٩٩. الحميري. الروض المعطار. ص ٥٩٥. سليمان العسكري. نفس المرجع. ص ١٠٩. ١١١.

وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي خرّب المغول مدينة هرمز الساحلية فانتقل أهلها الى جزيرة « جرون » المقابلة للساحل . وبعد ذلك أطلق عليها اسم هرمز أيضا فازدادت أهميتها وذاعت شهرتها حتى القرن العاشر الهجري [1] .

ومن الموانىء التجارية الهامة في الخليج العربي البصرة ، وتقع على الطرف الشمالي من الخليج العربي ، كما أنها تمثل نقطة التقاء الطرق الممتدة من وسط بلاد فارس الى الخليج والممتدة أيضا من بادية شبه الجزيرة العربية الى الخليج العربي . ولذلك أصبحت البصرة مركزا تجاريا هاما لتوزيع السلع الآتية من بلاد فارس والعراق والشام والجزيرة العربية عبر الخليج العربي ، ولاستقبال السلع الآتية من الشرق الأقصى وخاصة التوابل في طريقها الى العراق فالشام فسواحل البحر المتوسط .

وتشتمل البصرة على أسواق مزدهرة أهمها السوق الكبير الذي بلغ ايراده في منتصف القرن التاسع الهجري حوالي ٤٤١ر٠٠٠ دينار سنويا ، كما أن بها مخازن ومستودعات للمتاجر [1] .

---

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٣٩، دائرة المعارف الاسلامية مادة بندر عباس .

(٢) نعيم زكي فهمي ، نفس المرجع ، ص ١١٢ ، سليمان العسكرى. نفس المرجع ، ص ٩٤، ٩٧، دائرة المعارف الاسلامية، مادة البصرة .

ومن المراكز التجارية الهامة على الخليج العربي البحرين ، وهي مجموعة جزر تقع بالقرب من الشاطىء الغربي للخليج العربي . وتعود شهرة البحرين الى مصايد اللؤلؤ التي تحيط بها ، ويشتغل فيها معظم سكان البحرين ، وتؤلف أحد المصادر الاساسية للثروة عندهم . وتعتبر المنامة المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ بالإضافة الى كونها مركزا تجاريا هاما لتجارة السلع الشرقية ، كما يصدر عن طريقها اللؤلؤ الى جميع أنحاء العالم آنذاك [(١)] .

أما القطيف فتقع في منطقة الأحساء على الشاطىء الغربي للخليج العربي ، وتشتهر بالزراعة والمياه الجوفية الوفيرة . وأهم مزروعات القطيف النخيل ، وتصدر منتجاتها منه بالاضافة الى منتجات الاحساء من التمور . ويشتغل بعض سكان القطيف بالغوص لاستخراج اللؤلؤ . وكانت القطيف محطة للقوافل التجارية الآتية من جنوب بلاد العرب والذاهبة الى العراق ، لذلك كانت تزود السفن العابرة في الخليج بتجارة شبه الجزيرة

---

(١) المسعودى. مروج الذهب. جـ ١ ص ١٤٨. المقدسي. أحسن التقاسيم. ص ١٠١ — ١٠٢. سيد نوفل. الاوضاع السياسية. جـ ١. ص ٤٧. صلاح العقاد. التيارات السياسية. ص ٢٦٣.

العربية ، كما أنها كانت محطة لتوزيع منتجات الشرق الأقصى داخل شبه الجزيرة العربية [١] .

ويعتبر ساحل عمان من أهم مراكز التجارة في الخليج العربي حيث يحتوى هذا الساحل على أكثر من ميناء تجاري لاستقبال التجارة الشرقية مثل صحار ومسقط وقلهات . وقد لعب العمانيون دوراً هاما في هذه التجارة منذ القدم ، فإن طبيعة بلاد عمان التي تفصلها عن بقية شبه الجزيرة العربية الصحراء الشاسعة ، جعلت أهلها يتجهون ناحية البحر ويصبحون بالتالي أمة بحرية تجارية من الدرجة الأولى . يضاف الى ذلك أن أرض عمان أرض زراعية وفيرة المياه مما زاد في أهميتها كمركز لتموين السفن [٢] .

والميناء الرئيسي على ساحل عمان هو صحار التي تشتهر بجوها المعتدل وأرضها الخصبة ومزروعاتها الوفيرة ، وتعتبر مخزنا للسلع الواردة من الهند والصين ، وفيها تلتقي السفن التجارية المحملة بسلع الخليج العربي ، ومنها يتم تموين السفن ثم الانطلاق مرة أخرى الى الهند والصين وشرق أفريقية .

---

(١) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٩٩، ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٨٠، سليمان العسكرى. نفس المرجع، ص ١٠٣ — ١٠٥.

(٢) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ٢٧، الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٣،
Milles. The Countries and tripes, P. 356.

وبلغت صحار أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري . واستمر هذا الازدهار حتى القرن السابع الهجري [1] ، عندما تدهورت صحار وأصبحت خربة في منتصف القرن السابع الهجري ، وتحولت تجارتها الى هرمز وقلهات في القرن الثامن الهجري . وذكر أبو الفدا صاحب تقويم البلدان والمتوفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م أن صحار قد أصبحت بلدة خرابا [2] . كما أن ابن ماجد الذي عاش في القرن التاسع الهجري لم يصفها وصفا يدل على أهميتها التجارية مثلما وصف مسقط ، مما يشير الى استمرار خرابها حتى ذلك القرن [3] .

أما مسقط فقد كانت لها أهمية تجارية كبيرة على ساحل عمان وظلت مزدهرة ازدهارا عظيما حتى القرن العاشر الهجري . ويرجع ذلك الى أن مسقط محطة تجارية هامة ومركز عظيم من مراكز التموين للسفن ، حيث تتوفر فيها الآبار العذبة والمزروعات وخاصة النخيل [4] . وذكر ابن ماجد أن مسقط بندر مشهور في الدنيا لم يكن له مثيل ، وله جبل يراه أصحاب السفن

---

(١) المقدسي. أحسن التقاسيم. ص ٩٢. الاصطخرى. المسالك والممالك. ص ٢٧. ياقوت الحموي. معجم البلدان. جـ ٣ ص ٣٩٣. ٣٩٤. سليمان العسكرى. نفس المرجع. صفحة ١١١. ١١٢.

(٢) أبو الفداء. تقويم البلدان. ص ٩٩. دائرة المعارف الاسلامية مادة صحار.

(٣) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ٢٨٢.

(٤) الحميرى. الروض المعطار. ص ٥٥٩.

الداخلة الى الخليج مما يسهل رسو السفن فيه ليلا ونهارا ، كما أنه يصدر التمر والخيل ويستقبل السلع المختلفة من الهند وشرق افريقية [١] .

أما قلهات فهي ميناء تجاري هام على ساحل عمان زادت شهرتها في القرن الثامن الهجري ، بعد تدهور وخراب صحار خاصة أن معظم أهلها كان يشتغل بالتجارة [٢] .

ومن أهم عوامل ازدهار التجارة والملاحة في الخليج العربي قبل النفوذ البرتغالي هو استقرار الأمن به وما قامت به الدول الاسلامية المتعاقبة من منع أخطار القرصنة في مياهه . وقد مرّ الخليج العربي بفترة من أزهى عصوره وأكثرها رخاء وأمنا وهي فترة وحدة العالم الاسلامي زمن الخلافة الأموية والخلافة العباسية ، ورعت الدولة الاسلامية أمن واستقرار الخليج العربي ، وشجعت التجارة فيه ، نظرا لقربه من حاضرة الأمويين في دمشق ، ثم حاضرة العباسيين في بغداد ، مما شجع الحركة التجارية في الخليج وزاد من رخص السلع المجلوبة من الصين والهند ، وأدى بالتالي الى رخاء الدولة الاسلامية التي ملكت كل الطرق التجارية الرئيسية في العراق والشام وفارس [٣] .

---

(١) ابن ماجد، كتاب الفوائد، ص ٢٨٢ — ٢٨٣.

(٢) ابن بطوطة. تحفة النظار، ص ٢٧٠ — ٢٧١.

(٣) Milles. op. cit. P. 365.

جورج حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندى ، ص ١٩٥ .

ومن مظاهر رعاية الدولة الاسلامية لأمن واستقرار الخليج العربي محاربتها للصوص البحر ، فكانت تقيم الحصون في أهم المناطق التي يتواجد فيها هؤلاء اللصوص ، فيذكر الاصطخرى أن في عبدان حصن عامر فيه حامية ترابط لمراقبة اللصوص والتصدى لهم على من الأيام [1] . كما وضعت الدولة الاسلامية علامات لارشاد السفن في المناطق الخطرة على الملاحة وخاصة قرب البصرة لضحالة المياه وكثرة الصخور الناتئة .

وذكر المسعودي والاصطخرى أن هذه العلامات كانت تسمى خشبات البصرة ، وهي عبارة عن منارات من الخشب يسكنها ناظور يوقد في الليل المصابيح لارشاد السفن الداخلة الى البصرة ، وتمتد هذه المنارات على سواحل فارس والبحرين وعمان [2] .

وفي بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي هاجم تيمور لنك فارس والعراق فاضطرب حبل الأمن من جديد ، وتضررت طرق التجارة المارة من الخليج العربي الى العراق والشام ، مما سبب اعاقة الحركة التجارية في هذه الطرق وان لم تنقطع نهائيا [3] .

---

(١) الاصطخرى. المسالك والممالك. ص ٣١.

(٢) المسعودى. مروج الذهب. جـ ١. ص ١٤٩. الاصطخرى. المسالك والممالك. ص ٣٠. والناظور من نظر والناظر هو الحافظ. انظر ابن منظور. لسان العرب. جـ ٧. ص ٧٥.

(٣) سيأتى ذكر ذلك فيما بعد .

واستمر هذا الحال على عهد الجزائريين ودولة القره قوينلو ، ودولة الآق قوينلوا ، الذين تعاقبوا على حكم فارس والعراق حيث كانت الحروب تستعر إبان قيام احدى هذه الدول أو أثناء امتداد نفوذها .

ولا بد من الإشارة هنا الى أن اضطراب الأمن في الخليج العربي بعد الغزو المغولي للدولة الاسلامية في القرن السابع الهجري لم يؤد الى تدمير أو تحطيم تجارته كما حدث عندما غزاه البرتغاليون وأحالوه خرابا في بداية القرن العاشر الهجري كما ستوضحه هذه الدراسة .

❖

(٢) خطوط الملاحة بين الخليج العربي ومصادر تجارة الشرق

مخرت السفن العربية ـ وبخاصة سفن الخليج العربي ـ عباب المحيط الهندي منذ أقدم العصور . وتعددت خطوط الملاحة بينه وبين مصادر التجارة الشرقية ، وأشهرها خطان رئيسيان للملاحة البحرية أحدهما يتجه الى الهند والصين ، وثانيهما يتجه الى البحر الأحمر وشرق افريقية . فأما الطريق البحري المؤدي الى الهند والصين فهو أطول طريق استعمله العرب على نحو منتظم منذ آلاف السنين . وسلوك هذا الطريق في ذلك

الوقت وبالامكانيات والآلات المعروفة آنذاك ، يعتبر من الاعمال العظيمة الجديرة بالدراسة [1] .

ويتفرع هذا الطريق الى فرعين أحدهما تسلك فيه السفن العربية الخليج العربي من البصرة وسيراف وتمر على البحرين وهرمز ثم ترسو عند الساحل العماني في صحار ومسقط وقلهات ، فتتزود بالمؤن ثم تمخر المحيط الهندي الى كولم ملي (كويلون حاليا Quilon) في جنوب ساحل المليبار في الهند ، ثم تتجه السفن العربية الى الصين وغالبا ما يسلك هذا الطريق السفن الكبرى المحملة بالمتاجر .

أما الفرع الآخر للطريق البحري المؤدي الى الهند والصين فهو أن تنطلق السفن بعد توقفها في هرمز الى السندمارة بمحاذاة الساحل الفارسي الى الديبل والمنصورة من موانىء الملتان بالسند . وسلكت هذا الطريق السفن المتوسطة الحجم والتي كانت ترغب في نقل السلع الهندية من موانىء السند . ثم تحمل السفن هذه المتاجر ، الى الصين مارة بإزاء الساحل الغربي للهند ، حتى تصل الى كولم ملي نقطة الانطلاق الى الصين [2] . وكانت الرحلة الملاحية بين الخليج العربي والهند

---

(١) انظر جورج حوراني، نفس المرجع، ص ١٩٠ — ١٩١.

(٢) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ٢٩، جورج حوراني، نفس المرجع، ص ٢٠٨ — ٢٠٩، سليمان العسكري، نفس المرجع، ص ١٣٠ — ١٣١.

والصين تستغرق ما يقارب ستة أشهر [١] .

واستطاع البحارة والتجار العرب بسلوكهم الاسلامي في المعاملات التجارية أن يكسبوا ثقة الحكام في سواحل الهند وسيلان والصين ، وأسسوا جاليات عربية على سواحل تلك البلاد . ونتيجة احتكاكهم بأهالي البلاد انتشر الدين الاسلامي في تلك النواحي بسرعة كبيرة ، مما يؤكد أن التجار العرب كان لهم دور كبير في نشر الاسلام في الشرق الأقصى ، وأن الدين الاسلامي قوى بذاته وبتعاليمه السمحة وشموله للحياة الانسانية ، ولا يحتاج من ينشره الى قوة الدولة أو السلاح .

أما الخط الملاحي الثاني بين الخليج العربي وشرق افريقية والبحر الأحمر فله فرعان ، الفرع الأول : تخرج فيه السفن من الخليج العربي الى ساحل عمان ، وتسير بمحاذاة الشاطىء الجنوبي لبلاد العرب مارة بالشحر ثم الى عدن . ومن عدن تتجه السفن إما الى داخل البحر الأحمر أو تعبر الى شرق افريقية ، وهناك تتابع رحلتها حتى سفاله (موزامبيق حاليا) وجزيرة قنبلو (مدغشقر حاليا) . وقد ذكر المسعودى أن مراكب العمانيين والسيرافيين تقصد سفاله وهي نهاية مطاف سفنهم [٢] .

---

(١) قدرى قلعجي، نفس المرجع، جـ ١، ص ٥٤؛ ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٣٢.
(٢) المسعودى، مروج الذهب، جـ ٢، ص ٦.

وتستغرق الرحلة من الخليج الى عدن نحو أربعة أشهر. ويقصد التجار سفاله للحصول على الذهب والرقيق والعاج والعنبر والاخشاب[1] .

أما الفرع الآخر لهذا الطريق البحري فتنطلق السفن من رأس الحد على ساحل عمان الى جزيرة سوقطرة ثم الى رأس « جوردافوي » على الساحل الشرقي لافريقية . وهذا الفرع من خط الملاحة الرئيسي محفوف بالمخاطر نظرا لتحصن كثير من لصوص البحر في جزيرة سوقطرة واعتراضهم لهذا الطريق ، فكانت معظم السفن تفضل السير من الطريق المار بعدن[2] ، ومن عدن كانت سفن الخليج تدخل الى البحر الأحمر وتتوغل فيه حتى جدة ، ولكنها لم تتابع سيرها الى أبعد منها نظرا لكثرة الشعاب المرجانيـة على سواحل البحر الأحمر[3] .

وهكذا نجد أن البحارة والتجار العرب من الخليج العربي قد جابوا جميع أنحاء المحيط الهندي وبحر العرب والشاطىء الشرقي لافريقية والبحر الأحمر مما جعلهم مهرة في ركوب البحر ، ويكفي دليلا على ذلك أن أبن ماجد العالم والبحار والفلكي الماهر هو من أبناء الخليج العربي .

---

(١) الاصطخرى، المسالك والممالك، ص ٢٧.

(٢) جورج حورانى، نفس المرجع، ص ٢٢٩ — ٢٣٠؛ سليمان العسكرى، نفس المرجع، ص ٢٠١؛ ريسلر، نفس المرجع، ص ١٣٣.

(٣) سليمان العسكرى، نفس المرجع، ص ٢٠١ — ٢٠٢.

(٣) أهمية طريق الخليج العربي في نقل السلع الشرقية الى موانىء الشام

ومما زاد في أهمية طريق الخليج العربي كمنفذ للتجارة العالمية هو اتصاله بنهرى دجلة والفرات . ويعتبر هذان النهران امتدادا طبيعيا للخليج مما جعل هذا الطريق مباشرا وقليل التكلفة لأنه لا يقطع صحراء قاحلة تكلف مالا وجهدا في الحراسة (١) . واكتسبت أرض العراق أهميتها أيضا باتصال انهارها بالخليج العربي ، وبالتالي غناها من تجارة الشرق الواردة اليها عن طريقه ، ويقول المقدسي في هذا الأمر « واعلم أن العراق ليس ببلد رخاء ، ولكن جلّ وعمرّ بهذين النهرين وما يتحمل فيهما وببحر الصين (المحيط الهندي) المجاور له » (٢) .

وباتصال الخليج العربي بأرض العراق أصبح يتحكم في نقل السلع الشرقية الى موانىء البحر المتوسط (٣) ، فكانت البضائع تنقل من البصرة بواسطة المراكب النهرية إلى بغداد . ومن بغداد تنقل السلع التجارية عبر أرض الجزيرة بواسطة القوافل حتى حلب ودمشق وصور وصيدا على سواحل البحر

(١) نعيم زكي فهمي، نفس المرجع، ص ١٢٤ — ١٢٥.
(٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٢٤.
(٣) سليمان العسكرى، نفس المرجع، ص ١٩.

المتوسط ، وكانت الرحلة تستغرق من بغداد الى حلب خمسين يوما [١]

وهناك طريق آخر برى الى جانب دجلة والفرات تنقل فيه البضائع بواسطة القوافل غرب نهر الفرات ثم الى أرض الشام ثم الى حلب . ويخدم هذا الطريق الكثير من آبار المياه والمحطات التجارية القريبة منها . وتستغرق الرحلة بالقافلة بين البصرة وحلب سبعين يوما [٢] .

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ ، وانهيار سلطة الدولة على طريق التجارة أصبح البدو يحصلون على إتــاوة نظير عبور القوافل التجارية لأراضيهم . واستمر هذا الحال حتى القرن العاشر الهجري . وكانت متاجر الشرق الأقصى تأخذ طريقها الى أوربا بواسطة التجار الأوربيين الذين قدموا الى موانئ الشام على البحر المتوسط للحصول على هذه المتاجر ومن ثمّ حملها وبيعها في أسواق أوروبا . وفي مواسم التجارة كانت ترد الى سواحل الشام حوالى خمسة عشر ألف جمل محملين بالسلع الشرقية لتعود بالسلع الأوروبية ومنها الزجاج والانسجة والعطور والأسلحة [٣] .

---

(١) جورج حورانى ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ — ١٩٦ ، لونكريك ، أربعة قرون في تاريخ العراق ، ص ٤٣.

(٢) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٧٧ — ٧٨ ؛ سليمان العسكرى ، نفس المرجع ، ص ١٨ — ١٩ ، لونكريك . نفس المرجع . ص ٤٣.

(٣) نعيم زكي فهمي . نفس المرجع . ص ١٤٦ — ١٤٨.

وفي حلب كانت تتجمع متاجر شمال الشام وشمال أرض الجزيرة والمتاجر الآتية من أوربا ، لتبدأ القوافل رحلة العودة الى أرض العراق ودجلة والفرات ، ليتم تصديرها عن طريق البصرة الى الهند والشرق الأقصى وشرق افريقيا [١]

وهذا الازدهار الكبير لطريق الخليج ـ العراق ـ الشام اعترضته فترات من الفوضى والاضطراب ، أخلت بحالة الأمن فيه وأضرت بالمصالح التجارية للسكان ، ومن هذه الفترات فترة قيام حركة الزنج في جنوب العراق في القرن الثالث الهجري والتي استمرت مدة أربعة عشر عاما ، وقد مارس الزنج عمليات النهب لمراكب الحجاج والمراكب التجارية في نهرى دجلة والفرات [٢] .

وأدت الحروب المدمرة التي قام بها تيمور لنك في العراق والشام وفارس ، وكذلك الحروب التي نشبت بين خلفاء تيمور لنك والجلائريين ، وبين تركمان القره قوينلو والآق قوينلو أدت الى تدهور هذا الطريق ، والى انتشار قطاع الطرق ، والى نهب المدن أثناء هذه الحروب ، فيذكر المقريزي على سبيل المثال في حوادث سنة ٨٣٣ هـ : « وكانت بعراقي العرب والعجم

---

(٢) دائرة المعارف الاسلامية، مادة حلب، لونكريك، نفس المرجع، ص ١٢.

(١) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٢، ص ١٧٦٨، ١٧٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ ٥، ص ٣٤٨، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، قدرى قلعجي، نفس المرجع، جـ ١، ص ٥٢.

نهوب وغارات ومقاتل .... وخلا أحد جانبي بغداد من السكان ، وزال عن بغداد اسم التمدن ، ورحل عنها حتى الحيّاك ، وجف أكثر النخل من أعمالها » [1] .

ويذكر ابن العماد في حوادث نفس السنة (٨٣٣ هـ) فيقول : « وفيها كان الغلاء الشديد بحلب ودمشق والطاعون المفرط بدمشق وحمص ومصر » . كما يذكر نفس المؤرخ في حوادث سنة ٨٣٥ هـ الخراب الذي حل بالعراق وفارس في تلك الفترة فيقول : « وفيها خرب الشرق من بغداد الى تبريز من فرط الغلاء وعمومه » [2] .

ورغم هذه الحروب وما تبعها فان طريق الخليج العربي المار بالعراق والشام لم تتوقف التجارة خلاله تماما ، ولم تنقطع الا في النصف الأول من القرن العاشر الهجري بسبب الغزو البرتغالي للخليج العربي وما واكبه من عدم ورود المتاجر الى البصرة التى تعتبر أهم نقطة على هذا الطريق الحيوي .

أما عن أنواع السلع المنقولة على السفن العربية عبر الخليج العربي ، فقد تعددت أنواع هذه السلع ، فهناك السلع الآتية من الهند والشرق الأقصى وهي التوابل بأنواعها التي استخدمت في

---

(٢) المقريزى، السلوك، قسم٢، جـ ٤، ص ٨٣٧.

(١) ابن العماد ، شذرات الذهب، جـ ٧، ص ٢٠٠، ٢١١.

الأطعمة وفي صنع العقاقير الطبية ، مثل القرفة والقرنفل والخلنجان والزنجبيل وخيار شمر الراوند والعفص والبلسم والكافور وعرق الكافور والعود الهندي والحبهان وجوز الطيب والزعفران والتوتيا .

وبالاضافة الى التوابل فقد شملت السلع الهندية والصينية أنواع العطور والبخور ومنها عود السند والمسك وخشب الصندل والبخور واللادن والمصطكى واللبان الجاوي . كما حملت السفن من الهند خشب الساج الذي استخدمه سكان الخليج في بناء المنازل والسفن ، كما حملت السفن الأحجار الكريمة والمسك والأفيون والصبغات والحرير والعقيق وزيت السمسم (١) .

وهناك أنواع من السلع حملتها السفن العربية من شرق أفريقية الى الخليج العربي منها الذهب والرقيق والعاج والعنبر وجلود النمور التي يصنع منها غطاء السروج ، والزبل وهو ظهور السلاحف ويصنع منه الأمشاط والأخشاب ، والأرز والصمغ وريش النعام .

أما السلع الآتية من البحر الأحمر فكانت اليمن تصدر البرود والسيوف اليمانية المشهورة والحصر المصنوعة من الجلد والبن

---

(١) نعيم زكي فهمي . نفس المرجع . ص ١٧٠ ، ٢٤٠ . سليمان العسكرى . نفس المرجع . ص ١٥٧ ، ١٦٢ ؛ آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ص ٣٣٤ .

والبخور والصمغ والزعفران النقي والعصفر ، ومن المعادن النحاس والزئبق . أما مصر فكانت تصدر الحبوب والأعلاف والسمسم والقطن والكتان والعصفر والنيلة وقصب السكر والتبغ وماء الورد وملح النشادر [١] .

وأما السلع المارة في طريق الخليج العربي والواردة من أوربا عن طريق سواحل الشام فأهمها الحديد والرصاص والنحاس وخيوط الذهب والفضة والأوانى الزجاجية والأصواف والساتان والورق والاخشاب [٢] .

وكانت تصدر من العراق - عبر الخليج العربي - التمور العراقية المشهورة ، والحناء والأنسجة القطنية والحريرية والصوفية والعطور المحلية المصنوعة من ماء الورد والبنفسج والكتان وعمائم الخز ، وزيت السمسم والسكر والنيلة للصباغة ، والفواكه المجففة [٣] .

وأما فارس فكانت تصدر عبر الخليج العربي المنسوجات

---

(١) نعيم زكي . نفس المرجع . ص ١٧٤ . ١٧٦ ؛ آدم متز . نفس المرجع . ص ٣١٤ ، ٣٣٣ ؛ جب — بوون . المجتمع الاسلامي والغرب جـ ٢ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ ، ١٥٥ .

Serjeant. The Portugues, P.P. 10 - 11.

(٢) جب — بوون . نفس المرجع . ص ١٥٦ — ١٥٧ ؛ نعيم زكي . نفس المرجع ص ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣) المقدسي . أحسن التقاسيم . ص ١٢٤ . ١٢٨ ؛ آدم متز نفس المرجع ، ص ٣٠٩ ، ٣١٢ ؛ جب — بوون . نفس المرجع جـ ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ .

الحريرية والقطنية والصوفية والحصر والستائر وثياب الكتاب المشهورة ، والثياب المصنوعة من القصب ، والفواكه المجففة والصابون وأنواع الزيوت والدهون والعطور المصنوعة من البنفسج والنرجس والسوسن ، والزئبق والنارنج ، ومعادن الفضة والحديد والكبريت والنفط والنحاس ومواد الكتابة والبسط الفارسية المسماة بالطنافس (١) .

أما سلع شرق الجزيرة العربية فمن أهمها اللؤلؤ الدي يصدر من البحرين والقطيف وعمان وهو من أفضل أنواع اللؤلؤ عند أهل الهند والصين ، والتمور والبخور والعقاقير ، والمر والصبر ، واللبان والخيول العربية الأصيلة ، التي كانت تصدر من القطيف وعمان . وكان يجلب الى الهند من الخيول العربية في كل عام حوالي خمسة آلاف رأس (٢) .

وأخيرا فإن الخليج العربي حتى قيام حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية كان من أفضل طرق التجارة ازدهارا وحيوية ، كما أن بلدان الخليج العربي كانت أكثر البلاد ثراء بما حصلت عليه من المتاجرة بالسلع الشرقية .

---

(١) الاصطخرى. المسالك والممالك ، ص ٩٣ — ٩٤ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٤٢ ؛ آدم متز. نفس المرجع . ص ٣٥٧، ٣٦١ ، ٣٦٢.

(٢) آدم متز، نفس المرجع ، ص ٣٢٨، ٣٤٨ ؛ جب — بوون، نفس المرجع ، جـ ٢، ص ١٥٧ — ١٥٨ ؛ سليمان العسكرى، نفس المرجع صفحة ١٣٧ — ١٣٨.

(٤) الأحوال السياسية للخليج العربي في القرن التاسع الهجري

ترتبط الحالة السياسية للامارات العربية في الخليج في القرن التاسع الهجري بقيام مملكة هرمز وفرض سلطانها على تلك الامارات الممتدة من البحرين والقطيف الى عمان . فقد وصلت غزوات المغول المدمرة في القرن السابع الهجري الى الشاطىء الشرقي للخليج العربي . ولما دمرت مدينة هرمز القديمة التي تقع على الساحل نتيجة هذا الغزو المغولي ، انتقل أهلها الى جزيرة في البحر مقابلة للمدينة الساحلية تسمى « جرون » وأطلقوا عليها اسم هرمز الجديدة . وبمضي الزمن أقام التجار في هرمز الجديدة مملكة ثرية مزدهرة ، فرضت سيطرتها على الامارات العربية في الشاطىء الغربي من الخليج ، وعلى كثير من جزره ، كما ضمت قسما كبيرا من الشاطىء الشرقي [١] .

وقامت هرمز بجباية المكوس والضرائب من المدن والموانىء التابعة لها ، خاصة من مصايد اللؤلؤ في البحرين وقطر . وكان اللؤلؤ يشكل مصدرا هاما للثروة ، خاصة لحكام هرمز . يضاف الى ذلك أرباح المتاجر الشرقية الواردة من الهند والشرق

---

(١) أبو الفدا. تقويم البلدان. ص ٣٣٩؛ ابن بطوطة، تحفة النظار. ص ٢٧٢ — ٢٧٥. صلاح العقاد. التيارات السياسية. ص ٩ ، ١٠.

الأقصى . وقد زار هرمز بين عامي ٧٣٠ ـ ٧٣٢ هـ/ ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ م الرحالة ابن بطوطة وقد لفت انتباهه عظم ثراء ملك هرمز المسمى قطب الدين تمهتن بن طوران شاه ، حيث وجد في يده سبحة من اللؤلؤ لا تقدر بثمن ، وذكر أن مصايد اللؤلؤ تخضع لحكمه [١] . الا أن مملكة هرمز دبّ فيها الضعف في أواخر القرن التاسع الهجري ، ومما يؤيد هذا القول ما ذكره ابن ماجد من أن ملك هرمز كان يستنجد بأمير البحرين في وقت الشدة ضد أقربائه الطامعين بالسلطان [٢] . ومن شواهد ضعف مملكة هرمز أيضا في أواخر القرن التاسع الهجري أن إمارة البحرين فرضت سيطرتها على عمان سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م وصارت تأخذ الكثير من محاصيلها سنويا [٣] .

أما نظام الحكم في الامارات التابعة لمملكة هرمز فقد كان في أيدى بعض القبائل ، فالبحرين ـ على سبيل المثال ـ كانت تتكون من ثلاث مائة وستين قرية تسكنها قبائل من العرب تشتغل بالتجارة والزراعة ، بلغت أوج قوتها في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي [٤] .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع الهجري حكم البحرين

---

(١) ابن بطوطة. تحفة النظار. ص ٢٧٤ — ٢٧٥.

(٢) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ٣٠٠، ٣٠٢.

(٣) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ٣٠٢.

(٤) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ٣٠٠ — ٣٠١.

آل جبر بن زامل ، يعود أصلهم الى قبيلة من قبائل نجد نزحت الى الأحساء سنة ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م . واستأثر بحكم الأحساء سيف بن زامل بن حسين العقيلي الجبرى ، وبعد أن انتصر على آخر ولاة الجراونة بقايا القرامطة في الأحساء . ولما مات سيف بن زامل تولى الحكم في الأحساء بعده أخوه أجود بن زامل بن حسين الجبرى الذي ، استنجد به السلطان سرغل بن نور شاه ملك هرمز ضد أخيه الذي نازعه الملك سنة ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م . ولما أعانه أجود بن زامل في استرداد ملكه وهبه حكم القطيف والبحرين . وبعد وفاة أجود تولى ابنه سيف بن زامل الذي وسّع أطراف امارته على حساب جيرانه ، فاستولى على عمان من أميرها سليمان بن سليمان بن نبهان سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م ، وولى عليها أميرا من قبله هو عمر بن الخطاب الأباضي أو الخروصي [١] .

وأما الابن الآخر لأجود بن زامل واسمه مقرن فقد حكم البحرين وعمان في النصف الأول من القرن العاشر الهجري . وفي عهده استولى البرتغاليون على البحرين سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢١ م وقتلوه بعد عودته من الحج في تلك السنة [٢] .

---

(١) عبدالله السالمي . نهضة الأعيان . ورقة ٧٩ . السخاوى . الضوء اللامع . جـ ١ ، ص ١٩٠ ؛ ابن ماجد . كتاب الفوائد ص ٣٠٢ . الاحسائى . تحفة المستفيد . جـ ١ . ص ١٢٠ .

(٢) سيأتى ذكر ذلك فيما بعد .

أما عمان فمنذ القرن الثامن الهجري كان يحكمها بنو نبهان وهم من قبيلة الأزد بن الغوث [(١)] . وقد هاجمها أمير سيف بن أجود بن زامل الجبرى وقضى على الاسرة النبهانية وولى عليها عمر بن الخطاب الاباضى كما سبق القول . وحكم الاباضية عمان حتى بداية القرن العاشر الهجري حينما غزا البرتغاليون عمان سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م وكان حاكمها آنذاك هو محمد بن اسماعيل الخروصى (٩٠٦ - ٩٤٢ هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٣٥ م) [(٢)] .

ومن مدن عمان الساحلية قلهات ومسقط وخورفكان وصحار ، وكانت هذه المدن تدفع لمملكة هرمز إتاوة سنوية ، فمثلا كانت قلهات تدفع سنويا مبلغ ألف ومائة دينار أشرفي [(٣)] وتدفع مسقط أربعة آلاف دينار وصحار ألف وخمسمائة دينار أشرفي وخورفكان ألف وخمسمائة دينار أشرفي [(٤)] .

أما عن الحالة السياسية لبلاد فارس والعراق في القرن التاسع

---

(١) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ٢٧٢.

(٢) عبدالله السالمي، نهضة الأعيان، ورقة ٧٩.

Milles. op. Cit. P.P. 143 - 144.

(٣) الدينار الاشرفي : دينار من الذهب ضرب في عهد السلطان المملوكي الاشرف برسباى (٨٢٥ هـ — ٨٤٢ هـ/١٤٢١م — ١٤٣٨م) واطلق عليه لفظ الأشرفي وهو يساوي وزن الدوكات البندقي (٣٫٤٥ جرام) انظر عبدالرحمن فهمي محمد، النقود العربية، ص ٩، ٩٩.

(٤) Milles. op. cit. P.P. 155 Y 156.

الهجري فقد سادت العراق وفارس ظروف سياسية مشتركة خلال ذلك القرن ، حيث أن الاسرة الحاكمة التي حكمت العراق غالبا ما كانت تمد نفوذها الى بلاد فارس أو العكس . في بداية القرن التاسع كانت تسيطر على العراق وكردستان واذربيجان الدولة الجلائرية التي أسسها تاج الدين حسن بزرك عام ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م [١] بينما كانت بلاد فارس تخضع لحكم التيموريين . ولم تكن سيرة الجلائريين في العراق حسنة حتى كرههم أهل العراق وحاول أهل بغداد طرد الجلائريين منها سنة ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩ م - في عهد السلطان أحمد بن أويس الجلائري ، الذي استنجد بأمير من التركمان يدعى قره يوسف حاكم قبيلة قره قوينلو (الشاة السوداء) في اذربيجان وشرق الأناضول ، وقد لحقت الهزيمة بأحمد بن أوس وقره يوسف فأصبحا طريدين خارج بغداد [٢] .

وخلال هذه الحوادث وفي سنة ٨٠٣ هـ/ ١٤٠١ م دخل تيمور لنك العراق وخرّب بغداد والبصرة والكوفة ففر من العراق أحمد بن أويس وقره يوسف والتجأ الى بلاط بايزيد الأول رابع سلاطين العثمانيين (٧٩١ - ٨٠٤ هـ/ ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م) [٣] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بغداد.

(٢) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٢، ص ٢١٥ ؛لونكريك ، نفس المرجع ، ص١٦ ، ١٧ .

(٣) المقريزى، السلوك، قسم ٣، جـ ٣، ص ١١١٦ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ ١٢، ص ٢٦١ ، لونكريك، نفس المرجع ، ص ١٧ ؛ سالم الرشيدى، محمد الفاتح، ص ٣١ ، ٣٧.

وفي عام ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥ م عاد السلطان أحمد بن أويس الى بغداد بعد موت تيمور لنك ، وعمل على اصلاح ما خرّبه في بغداد وأعاد تحصينها ، كما أعاد قره يوسف الى امارته .

وحدث أن ثارت المنازعات بين السلطان أحمد وقره يوسف أمير التركمان بسبب التنافس حول السيطرة على تبريز في فارس . ودخل الطرفان في حروب مستمرة ، وأخيرا تمكن قره يوسف من قتل السلطان أحمد والاستيلاء على دولته عام ٨١٣ هـ/ ١٤١٠ م وبذلك قضى على آخر السلاطين الجلائريين في العراق [١] .

ثم أخذت دولة قره قوينلو في الاتساع فشملت وسط وشمال العراق وأذربيجان في شمال فارس . واشتدت الحرب بين قره يوسف وشاه رخ التيموري الذى حكم معظم بلاد فارس حتى وفاة قره يوسف سنة ٨٢٣ هـ ١٤٢٠ م . وقد امتدت دولة التيموريين الى الشاطىء الشرقي للخليج العربي وجنوب العراق ومن ضمنها البصرة ، فقد حكمها حتى سنة ٨٣٩ هـ/ ١٤٣٥ م ميرزا ابراهيم بن شاه رخ [٢] .

وفي سنة ٨٥١ هـ/ ١٤٤٧ م كانت دولة القره قوينلو قد

---

(١) عبد النعيم حسنين، ايران في ظل الاسلام، ص ٢٠ — ٢١. لونكريك نفس المرجع، ص ١٧. دائرة المعارف الاسلامية، مادة بغداد.
(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، جـ ٧، ص ١٦٣، ٢٢٩.

توسعت على عهد السلطان جهان شاه حتى وصلت الى شط العرب وفارس وكرمان وبلغت الدولة في عهده أوج قوتها . ورغم ذلك استمرت الحروب بينه وبين الأمراء التيموريين بالإضافة الى خروج كثير من ولاته عليه ، مما ساعد على زوال دولته على أيدي قبيلة تركمانية أخرى كانت تحكم في ديار بكر شمال العراق وكانت تخضع لنفوذ مملكة القره قوينلو ، وهي قبيلة الآق قوينلو (الشاة البيضاء) [١] .

وقد هاجمت هذه القبيلة التركمانية (آق قوينلو) بغداد بقيادة أوزون حسن سنة ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٧ م وقضت على السلطان جهان شاه ومملكته القره قوينلو ومدوا نفوذهم بعد ذلك الى الجزء الغربي من بلاد فارس ، بينما بقي الجزء الشرقي منها في أيدي الأمراء التيموريين حتى بداية القرن العاشر الهجري ، عندما قضت عليهم الدولة الصفوية [٢] .

ولم يؤثر تعاقب الدول والحكام في تحسين حالة العراق وبلاد فارس ، بل استمرت المنازعات والفوضى السياسية حتى قامت الدولة الصفوية عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م وفرضت سيطرتها على العراق وبلاد فارس في بداية القرن العاشر الهجري .

---

(١) لونكريك . نفس المرجع . ص ١٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية . مادة بغداد.

(٢) عبد النعيم حسنين . نفس المرجع . ص ٢١ — ٢٢ ؛ لونكريك . نفس المرجع . ص ١٨

ولا شك أن هذه الفوضى السياسية في فارس والعراق قد أثرت تأثيرا سيئاً على ازدهار طريق التجارة المار في كل من فارس والعراق والشام [1] ، كما أن هذه الحالة السياسية المتدهورة في فارس والعراق والامارات العربية قد مهدت للغزو البرتغالي للخليج العربي في بداية القرن العاشر الهجري .

---

(١) انظر ما سبق





خطوط الملاحة بين الخليج العربي ومصادر التجارة الشرقية



الفصل الثاني

كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول البرتغاليين إلى الهند والخليج العربي

١- العوامل التي أدت إلى الكشوف الجغرافية وخاصة العوامل الدينية الصليبية .

٢- فضل التجارة العرب في كشوف البرتغاليين

٣- جهود بارثلميو دياز وفاسكودي جاما في اكتشاف رأس الرجاء الصالح .

٤- نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

مع بداية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي انتهت جهود الرحالة البرتغاليين باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول الى الهند ، والتطلع بعد ذلك الى السيطرة على شواطىء شبه الجزيرة العربية وأهمها شواطىء الخليج العربي الذي يمثل مركزا تجاريا هاما على طريق الهند .

(١) العوامل التي أدت الى الكشوف الجغرافية وخاصة العوامل الدينية الصليبية

لا شـك أن العوامل الدينية من أهم العوامل التي أدت الى حركة الكشوف الجغرافية التي تعتبر حلقة من سلسلة الحروب الصليبية ومن المعروف أن الحروب الصليبية لم تنته في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشرالميلادى، وأن النصر الحاسم الذي حققه المسلمون على الصليبيين في مصر والشام لم ينه العداء المرير للاسلام ، بل نرى هجمة أخرى تشنها الصليبية تخرج من البرتغال . ولا شك أن التوسع المسيحي في الأندلس في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادى على حساب المسلمين ثم طردهم منها لتعتبر حلقة أخرى من سلسلة الحروب الصليبية ضد الاسلام وان لم تكن آخرها [١] .

---

(١) أنظر أيضا سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ١٢٥٧ — ١٢٥٨؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ٨٤ — ٨٥.

ومهما تعددت الشروح والأقاويل عن أسباب قيام البرتغاليين بحركتهم الهائلة ، للالتفاف حول افريقية ، فاننا نجد أن الدافع الحقيقي لهذه المغامرة هو مواجهة الاسلام في عقر داره . وهذه فكرة سيطرت على العالم الأوربي المسيحي منذ زمن طويل وازدادت الحماسة لها في القرن السادس عشر ، فالقيام بهذه الحركة يعني الالتفاف حول العالم الاسلامي (١) .

وأسبغت البابوية والكنيسة الكاثوليكية رعايتها الروحية على هذه الجهود وأيدتها في جميع مراحلها دون تردد . في عام **٨٥٩ هـ ١٤٥٤** م أصدر البابا نيقولا الخامس منشورا يبارك فيه جهود الأمير هنرى الملاح ويعطيه الحق في أن يغزو جميع الشعوب والأقاليم التي يسودها أعداء المسيح (٢) . وكذلك أصدر البابا كاليكستوس الثالث سنة **٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م** مرسوما آخر بنفس المعنى ، بالاضافة الى ثلاثة مراسيم أصدرها البابا اسكندر السادس سنة(٣) **٨٩٩ هـ/١٤٩٣ م** .

ولا شك أن محاولة التقليل من شأن الدافع الدينى وراء

---

(١) Shaw. The Ottoman Empire. Vol. 1; P. 99.

عبد العزيز الشناوى، أوربا في مطلع العصور الحديثة، ص ١١١؛ بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية، ص ٢٩؛ السيد رجب حراز، عصر النهضة، ص ٣٠٩.

(٢) بانيكار، نفس المرجع، ص ٢٦ — ٢٧؛ عبدالعزيز الشناوى نفس المرجع، ص ١١٢ — ١١٥؛ أحمد دراج، نفس المرجع، ص ٨٥ — ٨٧.

(٣) بانيكار، نفس المرجع، ص ٢٨ — ٢٩؛ أحمد دراج، نفس المرجع، ص ٨٥ — ٨٦.

حركة البرتغاليين الكشفية هو أمر أصبح ينافي الوقائع والحوادث في تلك الفترة ، ولا يفسرها التفسير الصحيح . فقد سيطرت على البرتغاليين في القرن العاشر الهجري فكرة تحويل أعدائهم المسلمين الى المسيحية في كل مكان يتواجدون فيه ، سواء في آسيا أو افريقية [١] . وفسّر ذلك المؤرخ المسلم المعاصر زين الدين بقوله : «ثم ان بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين وادخالهم في النصرانية نعوذ بالله من ذلك » [٢] .

يضاف الى ذلك أن الباحث يلاحظ علاقة طرد المسلمين من الاندلس بالكشوف الجغرافية ، ففي نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي أخذ الضعف يدب في دولة الاسلام بالأندلس بينما ازداد المسيحيون قوة . وما أن قضى المسلمون في مصر والشام على فلول الصليبيين حتى أخذ هؤلاء يعيدون الكرة مرة أخرى مع مسلمي الأندلس الذين تفاقمت شرورهم فيما بينهم ، وأخذ نفوذهم في الانحسار أمام قوة الصليبيين واتحادهم [٣] . وفي سنة ٨٩٨ هـ/ **١٤٩٢** م انقضّ الصليبيون على مملكة غرناطة آخر الممالك الاسلامية بالأندلس

---

(١) رجب حراز عصر النهضة، ص ٣٠٩.

(٢) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤٦.

(٣) أحمد دراج، نفس المرجع، ص ٩٤ — ٩٥.

وقضوا عليها ، لتبدأ مرحلة تتبع المسلمين في كل مكان في البر والبحر والى شمال أفريقية [1] ، ومن ثم التفكير بتطويق المسلمين من الجنوب ونشر المسيحية بينهم لكي لا يفكروا في العودة الى الأندلس مرة أخرى . وهكذا أصبحت أسبانيا والبرتغال نصيرة المسيحية المتعصبة وراعيتها في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادى [2] . يضاف الى ذلك أن فتح العثمانيين للقسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م وتهديدهم أوربا الشرقية أثّر في زيادة روح الكراهية ضد المسلمين بصفة عامة ومسلمي الأندلس بصفة خاصة [3] .

وتوجد رابطة وثيقة بين طرد المسلمين من الأندلس وقيام البرتغاليين برحلات كشفية حول شواطىء أفريقية الغربية . فبعد القضاء على القوى الاسلامية في الأندلس بحث الصليبيون الأوربيون عن طريق آخر يوصلهم الى الأراضي المقدسة في فلسطين غير الطرق المعروفة والمطروقة عبر العالم الاسلامي . ووجدوا صعوبة بالغة في ضرب الاسلام بواسطة الطرق التي استخدمها الصليبيون من قبل ، ففي الشام ومصر كانت تقوم

---

(١) سعيد عاشور، نفس المرجع، جـ ٢، ص ١٢٥٣ — ١٢٥٤؛ محمد عبدالله عنان، نهاية الاندلس، جـ ٤، ص ١٦٨؛ رجب حراز، عصر النهضة، ص ٣٠٩.

(٢) بانيكار، نفس المرجع، ص ٢٤.

(٣) سعيد عاشور، نفس المرجع، ص ١٢٤٩ — ١٢٥٠؛ محمد عبدالله عنان، نفس المرجع، ص ١٦٨.

دولة المماليك ، وفي آسيا الصغرى قامت الدولة العثمانية ، وفي شمال افريقية كان يتصدى لهم مجاهدو البحر المسلمون ، وهم عبارة عن قوة اسلامية تكونت للدفاع عن شواطىء شمال افريقية ضد الغارات الصليبية [١] .

اذن فالرحلات الكشفية كانت الوسيلة الفعالة لدى الصليبيين للوصول الى قلب العالم الاسلامي . يضاف الى ذلك أن المدّ العثماني في أوربا ، كان له أثره على حركة الكشوف الجغرافية . فقد فتحت القسطنطينية على يد محمد الثاني (الفاتح) سنة ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م ، وتردد صدى هذا الفتح في أسبانيا كما تردد في كل أنحاء أوربا المسيحية . وازداد الحقد الصليبي ضد المسلمين والخوف الشديد من مداهمة الاسلام لأوربا . وحاولت أوربا القضاء على القوى الاسلامية بكل السبل الممكنة . اذن فإن استيلاء العثمانيين على القسطنطينية ، وقيام حركة الكشوف الجغرافية من اسبانيا والبرتغال ، حدثان ارتبط أحدهما بالآخر ، بحيث اهتمت البابوية بكلا الحدثين اهتماما كبيرا ، نظرا لارتباطهما ببعضهما من ناحية الصراع بين المسيحية والاسلام . ومما يبرهن على ذلك أن البابا نيقولا الخامس (ت ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٥ م) الذي أصدر مرسوما يبارك

---

(١) محمد عنان، نفس المرجع، ص ٣٨٣ — ٣٨٥؛ عبدالعزيز الشناوي، نفس المرجع، ص ١١٥.

فيه جهود هنرى الملاح الكشفية ، هو نفسه الذي جدّ في توحيد ايطاليا ، وعمل جاهدا على تكوين حلف صليبي ضد الدولة العثمانية للقضاء عليها لولا أن أدركه الموت قبل ان يحقق آماله . كما أن البابا كاليكستوس الثالث ، الذي أصدر مرسوما سنة ٨٦١ هـ/ ١٤٥٦ م يؤكد المنحة التي وهبها نيقولا الخامس لهنري الملاح ، هو نفسه الذي شرّع للنصارى صلاة التبشير(Angelus) التي يطلبون فيها النصر على الاتراك ، كما بذل أقصى جهوده لتأليب أوربا ضد المسلمين ، وتكوين حلف صليبي هدفه محاربة العثمانيين ، واسترداد القسطنطينية منهم ، والحد من خطرهم على أوربا ، بل والقضاء عليهم نهائيا إن أمكن ذلك [١] .

وانتشرت في أوربا منذ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي اسطورة برستر جون Prester John أو القديس يوحنا ، وهي اسطورة أدبية عن بطريرك مسيحي اسمه القديس يوحنا ، أسس امبراطورية مسيحية كبرى في الشرق ، وحكم الهند والصين والحبشة التي كانت تعتبر الجزء الغربي من تلك الامبراطورية . وتحكي الاسطورة أنباء عجيبة عن هذه الامبراطورية ، وملكها المقدس ، وسلطته المطلقة على اثنين وسبعين ملكا في الهند ، وفتوحاته العظيمة ، وثراء بلاده الهائل

---

(١) سالم الرشيدى، نفس المرجع، ص ١٥٩ — ١٨٨.

وأن له استعدادا كبيرا لقتال أعداء المسيح (١) .

بمرورالزمن تطورت هذه الاسطورة ، حتى أضحت في نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي صورة تعبر عن آمال الصليبيين في تكوين تحالف مع هذا الملك القوى ، لضرب قلب العالم الاسلامي خصوصا بعد ما حققه المسلمون من انتصارات في الشام ومصر على الصليبيين . وأصبحت هذه الاسطورة تنحصر في مملكة الحبشة المسيحية ابان القرن السابع الهجري (٢) ، بعد أن تواترت الأنباء الى أوربا عن ملوك الحبشة الأقوياء ، الذين يحاربون المسلمين المحيطين بهم هناك . وفسر الأوربيون هذه الحروب كجزء من الحروب الصليبية ضد أعدائهم المسلمين (٣) .

ويعتبر البرتغاليون أول من بحث عن امبراطورية

---

(١) Tamsat, Ethiopia The Red Sea. in the Cambridge history of Africa, Vol. 3. P.P. 177 - 178.
محمد البحراوى. فتح العثمانيين عدن. ص ٦٣؛ عبدالمجيد عابدين. الحبشة والعرب. ص ١٦٨ ، ١٦٩.

(٢) Tamrat. op. cit. P. 179.

(٣) هم مسلمو الطراز أو دويلات المدن على ساحل البحر الأحمر التي أحاطت بالحبشة وبالأخص على عهد الاسرة السليمانية التي أسسها «يكنوا ملاك» عام (٦٦٩ هـ/١٢٧٠م) . وقام ملوك هذه الاسرة باضطهاد المسلمين من حولهم وشنوا عليهم حروبا عديدة أحرزوا فيها انتصارات كثيرة .
انظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة الحبشة .

« برسترجون » بكل جدية ومثابرة ، وأقاموا اتصالات مع الحبشة قبل نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي [١] . ففي سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م أرسلت البرتغال بعثتين لاكتشاف موقع امبراطورية برسترجون ، وكان ذلك قبل ثلاثة أشهر من بداية رحلة « بارثلميوديا ز » حول رأس الرجاء الصالح . وكان أحد هذين المبعوثين يدعى بيرودى كوفيلهام Pero de Covilham واستغرقت رحلته سبع سنوات . ثم بعثت البرتغال بعد ذلك بالقسيس البرتغالى جواجوميز Joao Gomez لنفس المهمة [٢] .

وتبع هذه البعثات الكشفية ، جهود بحرية كبيرة قام بها البرتغاليون ، للالتفاف حول أفريقية بقصد الاتصال بهذا الملك . ووصل بهم الأمل الى حد تحويل سكان الحبشة من المذهب الأرثوذكسي الى المذهب الكاثوليكي ، بالاضافة الى تحويل سكان الهند المسلمين والوثنيين الى المسيحية [٣] . وكان الغرض الرئيسي لرحلة بارثلميوديا ز هو ايجاد مملكة القس برسترجون ، والاتصال به في ساحل افريقية الشرقي [٤] .

---

(١) Tamrat. op. cit. P. 179 - 180;
عبد المجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٦٩ — ١٧٠.

(٢) Tamrat. op. cit. P. 180.

(٣) عبدالعزيز الشناوى ، نفس المرجع ، ص ١١٠.

(٤) يسرى الجوهرى ، الكشوف الجغرافية ، ص ١٣١.

وشرح المؤرخ البرتغالي سوزا Sousa هذا الهدف بقوله : «كان الملك يحدوه الأمل بتنفيذ ما بدأ القديس توماس [١] ، وزرع الديانة المسيحية في تلك البلاد » [٢] وسنرى فيما بعد كيف استطاعت البرتغال توطيد علاقتها مع الحبشة ضد المسلمين .

وللأمير هنرى الملاح دور هام في حركة الكشوف الجغرافية ، ويعتبر هنرى الملاح - الابن الثالث للملك جون الأول ملك البرتغال (١٣٩٤ - ١٤٦٠ م) - محاربا صليبيا من الدرجة الأولى ، له سيرة حافلة بحروبه ضد المسلمين في شمال افريقية . واشتهر هنرى الملاح بكراهيته الشديدة للمسلمين واعتبر ملاحقتهم واجبا دينيا مقدسا [٣] . فقد نشأ هنرى في دير من الأديرة الأسبانية وتشرب تعاليم الكنيسة ، وبغضها المرير للاسلام والمسلمين ، كما ترأس بعد ذلك طائفة الرهبان اليسوعيين (الجزويت) [٤] . ونظرا لكثرة أموال طائفة الرهبان ، فقد انشأ هنرى مدرسة بحرية ، ومرصدا في قلعته على رأس ساجرس Sagres في الطرف الجنوبي لشاطىء البرتغال . وجلب هنري الى قلعته علماء الرياضيات ورسامي الخرائط

---

(١) تذكر اسطورة برستر جون أن القديس توماس هو أول من نشر المسيحية في الهند ، انظر عبدالمجيد عابدين ، نفس المرجع ، ص ١٦٨ .

(٢) Sousa. op. cit. Vol. (1). P. 63.

(٣) بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٢٥ ؛ محمد البحراوى ، نفس المرجع ص ٥٦ — ٥٧ .

(٤) Macgregor, Europe and the East, in The New cambridge Modern History. Vol. (2). P. 591.

والفلكيين ، وقد استعان أيضا بأسرى المسلمين الذين لهم دراية كبيرة بشئون الفلك والبحر والأسفار الطويلة والجزر البعيدة . وبذل جهودا كبيرة في تحسين بناء السفن من حيث الحجم والقوة والمتانة (١) .

وفي عهد هنرى الملاح اكتشفت جزر ماديرا Madeiras سنة ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠ م ، وجزر آزوس Azores في سنة ٨٢٥ هـ/ ١٤٣١ م وعبر بحارته رأس بوجادور Bojador في سنة ٨٣٨ هـ/ ١٤٣٤ م حتى وصلت الرحلات البرتغالية الى ساحل جامبيا والسنغال (٢) .

وفي عام ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٤ م تلقى هنرى الملاح التأييد الروحي من الباب نيقولا الخامس الذى اصدر له مرسوما يبارك فيه جهوده في هذا المجال . وقرر البابا في مرسومه أن للأمير هنرى الحق في جميع البلدان التي يكتشفها حتى الهند ، ودعاه لأن يدخل في الكاثوليكية أعداء المسيح جميعا . وفي عام ٨٦١ هـ/ ١٤٥٦ م تلقى هنرى الملاح مرسوم البابا كاليكستوس الثالث ، الذي يؤكد فيه ما جاء في مرسوم نيقولا الخامس ، وبذلك وجد هنرى الدوافع القوية لمواصلة جهوده لتحقيق غايته الهامة ،

---

(١) بانيكار، نفس المرجع ، ص ٢٥ — ٢٦؛ السيد رجب حراز، عصر النهضة، ص ٣١٤ — ٣١٥؛ شيني، تاريخ العالم الغربى ص ١٧٥.

(٢) يسرى الجوهرى، نفس المرجع ، ص ١٢٨ — ١٣٠، شيني، نفس المرجع ، ص ١٧٦

وهي مهاجمة الاسلام من الخلف ، والقضاء عليه في كل من آسيا وأفريقية .

ويلاحظ أن هذه العوامل الدينية كلها هي عوامل متداخلة مترابطة يصعب الفصل بينها ، ولكن النتيجة الهامة لهذه الدراسة ، هي أن العامل الديني كان هو رائد البرتغاليين في حركة كشوفهم الجغرافية .

أما عن العوامل الاقتصادية التي أدت الى قيام حركة الكشوف الجغرافية فتلي العوامل الدينية . ولا شك أن الموقع الجغرافي الذي تتميز به البرتغال جعلها مؤهلة للقيام بمهمة الكشف والارتياد البحري ، وذلك لأنها تملك شواطيء طويلة على المحيط الأطلسي بالإضافة الى أن لشبونة أصبحت في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي مستودعا لتجارة الشرق وهي في طريقها الى أوربا (١) .

يضاف الى ذلك أن البرتغال كانت سباقة الى الاتصال بالمدينتين التجاريتين في ايطاليا : جنوه والبندقية ، واستفادت كثيرا من خبراتهما في فن الملاحة . فقد تعلم البرتغاليون من سكان هاتين المدينتين كيفية بناء السفن الكبيرة التي تصلح للمحيطات ، والتي تتميز بالمتانة والقوة . واشترى دون بدرو

---

(١) بانيكار. نفس المرجع. ص ٢٤؛ عبدالعزيز الشناوى. نفس المرجع. ص ١١٩.

Don Pedro البرتغالي نسخة من كتاب رحلة ماركوبولو من مدينة البندقية ، وأهداها الى أخيه الأمير هنرى الملاح ، المشهور بتشجيعه لحركة الكشوف البحرية [(١)] .

وعن طريق الاتصالات بهاتين المدينتين التجاريتين ، عرف البرتغاليون قصصا عن الشرق ، تحكي عن ثرائه وحضارته الراقية ، وأسعار التوابل وكثرتها هناك . وشاهد البرتغاليون أيضا مدى ثراء البنادقة والجنيويين ، نتيجة احتكارهم نقل السلع الشرقية من موانىء مصر والشام الى أوربا . وعرف البرتغاليون أيضا مدى سيطرة المسلمين على كل الطرق التجارية المؤدية الى الشرق . فالعالم الاسلامي بموقعه الفريد بين الشرق والغرب ، أصبح المحتكر الوحيد لتجارة الشرق ، واستفادت موانئه ومدنه التجارية من الضرائب المفروضة على هذه المتاجر . وأدرك البرتغاليون أن التجارة هي أحد أسباب قوة عدوهم ، لذلك رأوا ضرورة القضاء على احتكار المسلمين للتجارة الشرقية ، وخاصة التوابل وذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي ، ألا وهو القضاء على الاسلام والمسلمين . وهكذا سخّر البرتغاليون العامل الاقتصادي أيضا لتحقيق الغرض الدينى [(٢)] .

---

(١) فيشر، اوربا العصور الوسطى، جـ٢، ص ٤٦٢ — ٤٦٣ ؛ عبدالعزيز الشناوى، نفس المرجع، ص ١١٥، السيد رجب حراز، عصر النهضة، ص ٣٠٦.

(٢) محمد البحراوى، نفس المرجع، ص ٥٤ — ٥٦، أحمد دراج، نفس المرجع، ص ٨٤ — ٨٥ ؛ Macgregor. op. cit. P. 592.

وكانت للتوابل - **وبخاصة الفلفل** - في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين أهمية كبيرة في أوربا نظرا لحاجة الطبخ الأوربي لها . وازدادت قيمة التوابل بشكل كبير ، حتى أصبحت توازي أسعار الأحجار الكريمة ، وأصبح كثير من التجار الأوربيين المشتغلين في تجارة التوابل أو البهار من أعظم الأثرياء [1] . ومما أدى الى زيادة أسعار هذه السلع في أوربا الرسوم الجمركية الباهظة ، التي كانت تفرضها الدول الاسلامية في مصر والشام وفارس ، لتحكّمها في الطرق المؤدية الى الهند والشرق الأقصى ، مصدر تجارة التوابل .

وكانت دولة المماليك - على سبيل المثال - تفرض رسوما عالية عند وصول التوابل الى السويس ، وعند اعادة شحنها في الاسكندرية حتى وصل ثمن حمل الفلفل في الاسكندرية الى ١٢٠ أو ١٣٠ دينارا ، وما أن تصل هذه التوابل الى أوربا ، حتى يكون ثمنها قد زاد أضعافا مضاعفة [2] .

وأشار المؤرخ زين الدين في القرن العاشر الهجري ، الى الدوافع الاقتصادية لوصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي

---

(١) بانيكار، نفس المرجع، ص ٢١.

(٢) احمد دراج، ايضاحات جديدة، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، عدد عام ٦٧/٦٨م، ص ٢٢٠؛ بانيكار نفس المرجع، ص ٢٢ — ٢٣؛ شارل ديل، البندقية، ص ١٤٥ — ١٤٦.

بقوله : « وسبب وصولهم الى مليبار ، على ما يحكى عنهم طلب بلاد الفلفل ليختص تجارته بهم ، فانهم ما كانوا يشترونه الا من الذين يشترونه ، ممن يجلبونه من مليبار بوسائط » [١] .

والى جانب العوامل الدينية والاقتصادية ، هناك عوامل أخرى أدت الى الكشوف الجغرافية ، ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي ، ومن هذه العوامل الرغبة في زيادة المعلومات الجغرافية . ففي عصر النهضة الأوربية أطلع البرتغاليون على مجهودات العلماء المسلمين في ميدان الملاحة والفلك ، كما أنهم ورثوا مظاهر الحضارة الاسلامية في الاندلس بعد طردهم المسلمين منها ، وعنهم عرف الأوربيون البوصلة والاسطرلاب .

ووجد البرتغاليون أن مجالهم البحري يتصل كثيرا بافريقية وبالمحيط الاطلسي . وكانت المعلومات الجغرافية عنهما شبه مجهولة ، وتغلب عليها الخرافات والاساطير ، فكان يقال مثلا بأن ساحل افريقية الغربي خال من السكان ، وأن الرجل الأبيض عندما يصل الى منطقة معينة من الشاطىء الافريقي يتحول الى اللون الأسود من شدة الحرارة ، وأن الملاحة مستحيلة كلما توغل الانسان في الشاطىء الافريقي ، وأنه لا يمكن الطواف حول افريقية من ناحية الجنوب نظرا لالتصاقها بالقطب الجنوبي [٢] .

---

(١) زين الدين . تحفة المجاهدين . ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢) عبدالعزيز الشناوى . نفس المرجع . ص ١١٧ — ١١٨ ؛ السيد رجب حراز . عصر النهضة . ص ٣١٢ .

ودفع هذا البرتغاليين للتحقق من مدى صحة هذه الآراء وامكان الالتفاف حول افريقية ، للوصول الى الهند بعد أن تأكدوا تماما من كروية الأرض ، إثر تحررهم من النظريات اليونانية القديمة ، والفضل في ذلك يرجع لعلماء المسلمين [١] .

(٢) فضل البحارة العرب في كشوف البرتغاليين

وتؤكد المصادر والمراجع التاريخية فضل البحارة العرب في كشوف البرتغاليين . فقد عرف العرب ركوب البحر منذ أقدم العصور ، وبعد ظهور الإسلام ركبوه للجهاد والتجارة ، واستخراج كنوز البحر الممثلة في مصايد اللؤلؤ في الخليج العربي .

وعندما اتسعت الدولة الاسلامية من أوربا غربا الى بلاد الصين شرقا كثرت رحلات المسلمين البحرية . وساهمت هذه الرحلات كثيرا ، في تطوير علم الجغرافيا ، وتصحيح كثير من آراء اليونان الخاطئة حول تصورهم للعالم [٢] . ووضع المسلمون خرائط بحرية ، للارشاد الملاحي ، واخترعوا البوصلة البحرية والاسطرلاب .

---

(١) فيشر، نفس المرجع، ص ٤٦٢ — ٤٦٣.

(٢) هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٤١٨ ؛ أنور عبدالعليم، ابن ماجد الملاح ص ٣٠ — ٣٣.

يقول ميلز Milles ، « في الوقت الذي كانت فيه أوربا تؤمن بأن الأرض مسطحة وكانت على أتم الاستعداد لأن تحرق كل من يخالف ذلك ، كان العرب يدرسون الجغرافيا باستخدام الكرات الأرضية »[1] .

ومن أشهر العلماء والرحالة المسلمين الذين جابوا العالم المعروف آنذاك : المسعودي (ت ٣٤٦ هـ/ ٩٥٧ م) والأدريسي الأندلسي (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦ م) الذي قام برحلات عديدة ما بين آسيا والساحل الغربي لإنجلترا ، وقضى في صقلية مدة خمسة عشر عاما ، في التأليف ورسم الخرائط والدرس والبحث ، وقام بدور المعلم لأوربا في تلك الفترة[2] .

ومن الرحالة المسلمين ابن جبير صاحب « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » المتوفي سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م ، وابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م) الذي استمرت رحلته أربعة وعشرين عاما ، دونها في كتابه المشهور « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا بأن أوربا قد أخذت المعلومات

---

(١) Milles. op. cit. P.P. 363 - 364.

(٢) هونكه، نفس المرجع ، ص ٤١٨ — ٤٢٠، جلال مظهر، مآثر العرب على الحضارة الأوربية، ص ١٧٠، غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٤٧٠.

الجغرافية الخاضعة للتجربة والمحققة من علماء المسلمين لا من غيرهم بأي حال من الأحوال [1] . ومما يؤيد ذلك قول ابن ماجد في كتابه « الفوائد » عن أهمية منهج التجريب : « ولم نستفد في زماننا هذا شيئا له صحة كعلومنا وتجاربنا واختراعاتنا التي في كتابنا هذا ، لأنها مصححة مجربة وليس على التجريب شيء أحسن منه » [2] ، وقول سليمان المهري : « أصل علم البحر انما هو مستخرج من نظر العقل مع التجربة » [3] .

وقد كان لليهود دور كبير في نقل المعلومات الجغرافية العربية الاسلامية الى المسيحيين في الأندلس . فقد استعان ملك قشتاله « الفونس العاشر » Alfons X (١٢٥٢ م - ١٢٨٤ م) بخبرة اليهود - الذين تلقوا علومهم عن العرب - في جمع معلومات ومعارف العرب الفنية في مجال الفلك [4] . وبعد أن طرد المسلمون من الأندلس كان لليهود الدور الكبير في ترجمة التراث العربي الاسلامي الى اللغة الاسبانية وخصوصا في مدينة طليطلة [5] .

---

(١) هونكه. نفس المرجع. ص ٤١٧ — ٤٢٠؛ غوستاف لوبون، نفس المرجع. ص ٤٣٥؛ سيديو. تاريخ العرب العام. ص ٣٣٧. ٣٣٩.

(٢) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ١٦.

(٣) سليمان المهرى. شرح تحفة الفحول. جـ ٣. ص ١٢١.

(٤) هونكه. نفس المرجع. ص ١٣٦.

(٥) هونكه. نفس المرجع. ص ٥٣٢.

وأما البرتغاليون فقد أجهدوا أنفسهم في التعرف على علوم العرب الملاحية قبل أن يقدموا على مغامراتهم في الشاطىء الافريقي . واستعانوا في هذا الشأن باليهود كجواسيس وتراجمة ، بعد أن طردتهم أسبانيا عام ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢ م ، فالتجأوا الى البرتغال آخذين معهم علوم العرب الملاحية وخرائطهم وجداولهم الفلكية ، وكانوا قد ترجموها الى العبرية واحتفظوا لأنفسهم بأسرارها . وكان لهذه العلوم الاسلامية أكبر الأثر في تقدم البرتغاليين في مجال الرحلات الكشفية [١] .

ولم يقتصر دور اليهود على النقل والترجمة ، وانما استخدمتهم البرتغاليون كجواسيس لهم في المشرق ، لتزويدهم بأحدث المعلومات البحرية في الملاحة والفلك ، نظرا لإتقانهم اللغة العربية ، ففي سنة ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨ م على سبيل المثال ، أي قبل رحلة فاسكودى جاما بعشر سنوات ـ قام جواسيس اليهود برحلة الى مصر ، ومن هؤلاء الفونسو دى بايفا ، وبيرودي كوفيلهام ، وكان الغرض من رحلتهم ، هو جمع المعلومات فيما يتصل بتجارة التوابل والبحث عن مملكة برسترجون [٢] . وقد واصل الجواسيس اليهود سفرهم الى عدن ثم الهند للحصول على

---

(١) أنور عبدالعليم. نفس المرجع. ص ٤٢ — ٤٤، جلال مظهر نفس المرجع. ص ٤٦.
(٢) لوريمر. دليل الخليج. جـ ١. ص ١٠ — ١١. عبدالعزيز الشناوى. نفس المرجع. ص ١٢٠؛ محمد البحراوى. نفس المرجع. ص ٥٧ — ٥٨. Tamrat. op. cit. P.P. 179 - 180.

معلومات وخرائط عن المحيط الهندي . وفي أثناء عودتهم الى البرتغال التقوا في القاهرة ببعثة يهودية أخرى ، فانضمت البعثتان الى بعضهما ، وواصل اليهود السفر الى هرمز وشرق افريقية والحبشة ، ثم عاد بعضهم الى مصر ، فالبرتغال حاملين معهم خارطات عربية ومعلومات تفصيلية عن المحيط الهندي [١] .

وقد تعلم البرتغاليون استخدام آلات الملاحة من العرب ، وخاصة البوصلة البحرية والاسطرلاب . أما بالنسبة للبوصلة فرغم أن أكثر المؤرخين يتفقون على أن الصينيين هم أول من تعرف على خواص الابرة المغناطيسية ، وأنها تشير دوما الى الشمال ، فإنهم يجمعون على أن أول من استخدمها عمليا في البحار وفي الاستدلال على القبلة هم المسلمون [٢] . ومن واقع تجاربهم العملية أثناء رحلاتهم الكثيرة ، أضاف المسلمون الى الابرة المغناطيسية ما يعرف باسم « وردة الرياح » لمعرفة اتجاه الريح ، ومصدر هبوبها عند معرفة جهة واحدة من الجهات الاصلية . وانتقل هذا الاختراع الفريد الى أوربا ، عن طريق التبادل التجاري في البحر المتوسط ، بواسطة البنادقة والجنويين إبان الحروب الصليبية ، وأيضا عن طريق الأندلس [٣] .

---

(١) لوريمر، نفس المرجع، ص ١٠ — ١١؛ عبدالعزيز الشناوى، نفس المرجع، ص ١٢٠.

(٢) Milles. op. cit. P. 369;

هونكه، نفس المرجع، ص ٤٧ — ٤٨؛ أنور عبدالعليم، نفس المرجع، ص ٣٤ — ٣٥؛ جاك ريسلر، الحضارة العربية، ص ١٩١.

(٣) هونكه، نفس المرجع، ص ٤٧ — ٤٨؛ أنور عبدالعليم، نفس المرجع ص ٣٥ — ٣٨.

أما الاسطرلاب فهو آلة قياس ارتفاع الشمس والنجوم ، وعمل البحارة العرب والمسلمون على تطويره ، وألّفوا في استعمالاته الكتب الكثيرة .

وهناك أيضا آلات استخدمها المسلمون في الملاحة ، وأخذها عنهم البرتغاليون والأسبان ، منها ربع الدائرة (الكوادرنت Qudrent) [(١)] . كما وضع المسلمون الخرائط والجداول الفلكية وخطوط العرض والأزياج . [(٢)] .

وبعد أن اجتاز البرتغاليون رأس الرجاء الصالح ، احتكوا بالخبرة العربية المتطورة ، والمتجددة ، في مجال البحار ، فقد استعانوا بالمرشدين والملاحين العرب لارشادهم الى طريق الهند . ورغم ان البوصلة والاسطرلاب ، قد وصلا الى البرتغاليين عن طريق المسلمين ، الا أنهم لم يعلموا بما طرأ على تلك الآلات من تجديدات مستمرة ، والدليل على ذلك الدهشة العظيمة التى أصابت فاسكو دى جاما ، عندما رأى الآلات التي يستخدمها أحمد بن ماجد على سفينته [(٣)] .

---

(١) عبدالعزيز الشناوى. نفس المرجع ، ص ١٢٣ — ١٢٤ . أنور عبدالعليم. نفس المرجع ، ص ٣٣ — ٣٥.

(٢) الازياج : مفردها زيج وهو جدول يستدل به على حركة الكواكب السيارة حول الشمس لتقويم مواقعها، انظر طاشكبرى زادة. مفتاح السعادة. ص ٣٧٩ — ٣٨٠.

(٣) قدرى قلعجي. نفس المرجع. جـ ١. ص ٣٥٣.

(٣) جهود بارثلميودياز وفاسكو دي جاما في كشف طريق الرجاء الصالح

ويرجع الفضل في كشف طريق رأس الرجاء الصالح ووصول البرتغاليين الى الهند والخليج العربي الى جهود كلٍّ من بارثلميو دياز ، وفاسكو دى جاما .

فقد ارتبط اسم بارثلميو دياز Barthelemu Diaz بكشف طريق رأس الرجاء الصالح . وجاءت رحلته المشهورة متوجة لجهود سنين عديدة في محاولات ارتياد الشاطىء الغربي لافريقية . ففي عام ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٢ م - بعد وفاة هنري - الملاح - وصل الرحالة البرتغاليون الى خليج غانة ، كما أنهم وصلوا في عام ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥ م الى رأس كاترين Cape Catherine على خط عرض ٢ جنوبا . وقد سبقت رحلة دياز رحلتان تمهيديتان قام بهما ديجو كام Diego Cam الذي وصل الى مصب الكونغو عند رأس سانت ماري St. Mary ثم واصل تقدمه حتى رأس مونت نجرو Monte Negro ، ثم رأس كروس Cape Cross (١)

وقد تمت رحلة بارثلميو دياز في عهد ملك البرتغال « جون

(١) يسرى الجوهرى، نفس المرجع، ص ١٣٠ — ١٣١.

الثاني » (١٤٨١ م - ١٤٩٥ م) الذي كان متلهفا لعقد تحالف مع برسترجون [١] .

رحل دياز من لشبونة سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٧ م ، وسار بمحاذاة الشاطىء الغربي لافريقية ، فوصل الى خليج والفيش Walfish ونظرا لقوة التيارات البحرية التي تدور حول افريقية ، عمل دياز على تفاديها بالاتجاه الى الجنوب ، حتى وصل الى نطاق الرياح الغربية ثم اتجه شرقا ، فشمالا ، الى خليج موسل Mosel Bey [٢] . وهناك لاحظ دياز أن الساحل الافريقي قد أصبح على الجانب الأيسر من سفنه ، فأدرك أنه عبر جنوب افريقية ، وأنه يسير بمحاذاة الساحل الشرقي لافريقية [٣] .

ولم يستطع دياز المضي في رحلته لأنه واجه تمرداً خطيراً من بحارته ، فقطع الرحلة وعاد الى لشبونة ، فوصلها عام ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨ م مارا بمنطقة الكاب (الرأس) ، بعد أن أطلق عليه اسم رأس العواصف Cabo Tormentoso ثم سمي بعد ذلك تفاؤلا باسم رأس الرجاء الصالح [٤] Cabo da Boa Esperanca

وبعد مضي عشر سنوات ، جاء دور فاسكو دي جاما

---

(١) لويمر. نفس المرجع، جـ ١، ص ١٠ — ١١.

(٢) يسري الجوهري، نفس المرجع، ص ١٣١.

(٣) عبد العزيز الشناوي، نفس المرجع، ص ١٢١.

(٤) السيد رجب حراز، عصر النهضة، ص ٣١٦؛ شيني، نفس المرجع، ص ١٧٧؛ يسري الجوهري، نفس المرجع، ص ١٣١ — ١٣٢.

Vasco de Gama ليتمم ما بدأه بارثلميوديان في اجتياز « رأس الرجاء الصالح » ، والوصول الى شرق افريقية والهند . وقد تمت رحلته في عهد ملك البرتغال مانويل الثاني Manual II (١٤٩٥ م - ١٥٢١ م) [(١)] .

بدأ دي جاما رحلته من لشبونة في عام ٩٠٣ هـ (٨ يوليو ١٤٩٧ م) مع أربع سفن تضم ما بين ثمانية عشر ومائة الى خمسين ومائة بحارا . وزودت هذه السفن بالأجهزة الخاصة بالملاحة كما زودت بالخرائط اللازمة والكتب [(٢)] . ووصل فسكو دي جاما الى جزر الرأس الأخضر Cape Verde وهناك مكث أسبوعا للتزود بالمؤن . وفي ٨ أغسطس أبحر دي جاما متجها الى الجنوب الغربي . وفي ٤ نوفمبر رأي مع بحارته اليابسة ، ورسوا عند خليج أطلقوا عليه اسم خليج القديسة هيلينا St. Helena Bey حيث قضوا ثمانية أيام . ثم أبحروا مرة أخرى ، وعبروا رأس الرجاء الصالح . وفي يناير ١٤٩٨ م فقد دي جاما إحدى سفنه شمال الناتال Natal نتيجة العواصف الشديدة . ثم واصل الملاحة شمالا حتى ثغر سفالة وقرب نهر كليماني Kilimani رسوا لمدة شهر كامل للتموين واصلاح السفن [(٣)] .

---

(١) انور عبدالعليم ، نفس المرجع ، ص ٤٦ .

(٢) يسري الجوهري ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ ؛ انور عبدالعليم ، نفس المرجع ، ص ٤٧ ؛ شيني ، نفس المرجع ، ص ١٧٧ .

(٣) Bell, portugal and the Quest for the Indies. P.P. 203 - 206;
سرى الجوهرى ، نفس المرجع ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ؛ أنور عبدالعليم ، نفس المرجع ، ص ٤٧ .

ثم أبحر فاسكو دي جاما مرة أخرى لمدة خمسة أيام فوصل الى موزامبيق ، ورحب بهم ملكها في بادىء الأمر ظانا بأنهم أتراكا أو مغاربة . فلما عرف أخيرا بأنهم مسيحيون وغرباء عن الشاطىء الافريقي أوقف التعامل معهم ، وبدأ الشك يساوره من ناحيتهم . وحدثت بعض المناوشات بين سكان المدينة والبرتغاليين ، فقصف البرتغاليون المدينة ، ودمروا قسما منها ، مما خلّف لدى سكان الساحل انطباعا مبكرا عن وحشية القادمين . ثم استخدم البرتغاليون مرشدين لهم بعد أن دفعوا لكل منهما ثلاثين مثقالا من الذهب (١)

وفي ١٠ مارس ١٤٩٨ م أبحر البرتغاليون بقيادة فاسكو دي جاما الى مومباسا وبعد جهد شاق ومقاومة للعواصف التي كادت أن تحطم السفن ، وصلوا اليها في السابع من ابريل ، ولكنهم لم يجدوا ترحيبا من الحاكم والأهالي ، فأبحروا فورا الى ماليندى فوصلها دي جاما حذرا ، من تكرار ما حدث في موزامبيق ومومباسا .

ولما لمس دي جاما الترحيب البالغ من سلطانها شرح له حاجته الى دليل في المرحلة الأخيرة من رحلته الى الهند ، فوافقه على ذلك ، ولكنه تأخر في ارسال هذا الدليل ، فانتهز دي جاما

---

(١) Serjeant, op. cit. P.P. 13 - 14; Bell, op. cit. P.P. 207 - 209; Macgregor, op. cit. P. 594.

فرصة ارسال السلطان مبعوثه اليه ، فاحتجزه وأرسل يساوم السلطان على أنه سيبقى الرسول رهينة لديه حتى يصل الدليل . وفعلا أرسل اليه البحار والعالم الفلكي أحمد بن ماجد [1] .

وابن ماجد هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن الحسين بن أبي معلق السعدي بن أبي الركائب النجدي ، ولد في « جلفار » من الخليج العربي (وهي رأس الخيمة اليوم) [2] .

لقب « بأسد البحر » و « رئيس علم البحر » و « رابع الليوث » [3] ولم تطلق عليه هذه الألقاب عبثا ، فهو لم يكن مجرد بحار فقط أو دليل أو مرشد ، بل هو عالم في الفلك وعلوم البحار . مارس مهنته أكثر من نصف قرن على أساس علمي . وكان المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر ميدان نشاطه الكبير . فقد جاب الهند والسيام والزنج وفارس والسند والحجاز واليمن وهرمز [4] .

وقصة ارشاد ابن ماجد لفاسكو دي جاما قصة فريدة ،

---

(١) Bell, op. cit. P.P. 209 - 212; Serjeant, op. cit. P.P. 13 - 14;
أنور عبدالعليم. نفس المرجع. ص ٤٧ — ٤٨.

(٢) قدرى قلعجي. نفس المرجع. ص ٣٥٣؛ دائرة المعارف الاسلامية مادة شهاب الدين.

(٣) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ١٠؛ ثلاث أزهار. الدراسة التاريخية للمحقق شوموفسكي. ص ٨٩.

(٤) ابن ماجد. كتاب الفوائد. ص ٣؛ ثلاث أزهار الدراسة التاريخية للمحقق. ص ٨٩.

تدل أكثر ما تدل على قلة الخبرة الأوربية في مجال علم البحر والفلك في القرن العاشر الهجري ، كما تدل على عظم قدر المسلمين في علوم البحار ، رغم التفكك السياسي وقتذاك .

وتتفق المصادر التاريخية على أن فاسكو دي جاما بعد أن عبر رأس الرجاء الصالح ، ألقي مراسيه في ماليندي على الشاطىء الشرقي لأفريقية . وهناك بحث عن دليل ليرشده الى الهند ، لعدم معرفته بنظام هبوب الرياح الموسمية ، في شرق أفريقية والمحيط الهندي . وقد أدى ذلك الى تحطيم بعض سفنه ، وفي ذلك يقول ابن ماجد في ارجوزته السفالية : [١]

زلوا بها الأفرنج غلق الموسم
في عيد ميكال بالتوهم
قام عليهم موج تلك الروس
في سفالة بقي معكوس
وانقلبت أدفاهم في الماء
السفن فوق الما يا خائي
غرقى يرون بعضهم بعض
وكن عارفا موسم تلك الارض [٢]

وقد عرف الكتاب البرتغاليون في القرن العاشر الهجري

---

(١) ابن ماجد، ثلاث أزهار، ص ٤٠.

(٢) يقصد بتلك الارض : سفالة في ساحل شرق افريقية.

السادس عشر الميلادي ، ابن ماجد باسم « ماليما كاناكوا » أو « ماليموكانا » وهو التحريف للقبه العربي الذي يعني « المعلم الفلكي » [1]

وقد عرض فاسكو دي جاما على ابن ماجد آلاته البحرية المستخدمة عند البرتغاليين ، ولكن ابن ماجد لم يدهش لها ، بل عرض عليه الآلات البحرية التي طورها العرب ،ومنها آلات مثلثية ومربعية الشكل لقياس ارتفاع الشمس ، وخصوصا النجم القطبي . كما أراه خرائط تفصيلية للمحيط الهندي وشرق أفريقية والجزيرة العربية قائمة على خطوط طول وخطوط عرض متوازية وهو شئ لم يعرفه الأوروبيون آنذاك . كل هذا أدهش فاسكو دي جاما ، وازداد اعجابه بمرشده الملاحي ، فقرر الرحيل معه فورا[2] .

وفي ٢٤ ابريل ١٤٩٨ م ، أبحروا الى الهند ، وبعد ثلاثة وعشرين يوما ، وفي ١٨ مايو وصلوا كاليكوت على الساحل الغربي للهند .

هذه باختصار قصة ابن ماجد مع فاسكو دي جاما ، أما الأثر الذي تركته هذه الحادثة ، والنتائج التي ترتبت على هذا

---

(١) Bell. op. cit. P.P. 215 - 216.

(٢) انور عبدالعليم ، نفس المرجع ، ص ٥٢ — ٥٤ ؛ عبدالعزيز الشناوى ، نفس المرجع ، ص ١٢٣ — ١٢٤ ؛ Bell. op. cit. P.P. 216 - 217.

الارشاد ، فهو ما لم يكن في حسبان ابن ماجد حيث اتهمه المؤرخون المسلمون ، بعدة اتهامات بعد أن ظهرت نوايا البرتغال الحقيقية في الشرق والمصائب التي وقعت على المسلمين بسببهم .

يقول المؤرخ المسلم المعاصر قطب الدين النهروالي في كتابه « البرق اليماني » : « فلا زالوا يتوصلون الى معرفة هذا البحر الى أن دلهم شخص ماهر يقال له أحمد بن ماجد صاحبه كبير الفرنج وكان يقال له (الاملندي) وعاشره في السكر ، فعلمه الطريق في حال سكره ، وقال لهم لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا في البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج ، فلما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم فكثروا في بحر الهند »[1]

غير أن ما ذكره النهروالي عن شخصية ابن ماجد يجب أن يؤخذ بكثير من الحذر ، فيبدو أن ابن ماجد كان رجلا متدينا ، خاصة وأنه رجل عاصر المخاطر والمهالك في البحر ، فلا بد أن قلبه كان دائما مع الله عز وجل . ونلمس في كتاباته روح التدين العميق مثل قوله : « وينبغي للمعلم[2] أن يكون .... عدلا ، تقيا ، لا يظلم أحدا ، مقيما على طاعة الله ، متقيا الله حق اتقائه تعالى »[3] .

(١) النهروالي، البرق اليماني، ص ١٨ — ١٩.

(٢) يقصد بالمعلم ربان السفينة أو قائدها.

(٣) ابن ماجد، كتاب الفوائد، ص ٢٩ — ٣٠.

يضاف الى ذلك أنه من المستبعد أن يصدق فاسكو دي جاما كلام رجل عاقره الخمر وهو مقدم على شيء مجهول بالنسبة له يخاف مخاطره ، بل الأصوب أن يأخذ بكلام رجل عالم ذكي يثق بنفسه ، وقد وثق به فاسكو دي جاما .

والأرجح أن يكون ابن ماجد قد رضي أن يرشد اسطول دي جاما الى الهند ، بعد أن كلفه بذلك ملك ماليندي ، واعتبر ابن ماجد ذلك تكريماله [1] . كما أن التفكك السياسي الذي أصاب المسلمين في ذلك الوقت ساعد البرتغاليين كثيرا في تنفيذ أهدافهم ، ولا يمكن أن نلقي اللوم على شخص واحد هو ابن ماجد .

وكيفما كان الأمر ، فقد بقي فاسكو دي جاما ثلاثة أشهر في كاليكوت تبادل فيها المحادثات والهدايا مع حاكم الثغر ، وأظهر له النوايا الحسنة ، والرغبة في التجارة فقط [2] .

ويذكر زين الدين في تحفة المجاهدين ، خبر رحلة فاسكو دي جاما الأولى فيقول : « ان ابتداء وصولهم الى مليبار كانت سنة أربع وتسعمائة من الهجرة النبوية ، وصلوا الى فندرينه في ثلاث مسماريات بعد انقطاع موسم الهند ، ثم خرجوا منها الى

---

(١) انور عبدالعليم ، نفس المرجع ، ص ٥٢ — ٥٣ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ — ١٢٥ ؛ بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٣٧ — ٣٨ .

بندر كاليكوت في طريق البر ، وأقاموا فيها شهورا يتعرفون أخبار مليبار وأحوالهم ، ولم يشتغلوا بالتجارة ، بل رجعوا الى بلدهم برتكال » [١] .

وفي اغسطس عام ١٤٩٨ م رحل دي جاما الى البرتغال ، فوصلها في سبتمبر سنة ١٤٩٩ م واستقبلته لشبونة استقبال الفاتحين المظفرين .

أما عن رحلة فاسكو دي جاما الثانية فقد تمت في عام ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢ م وفي هذه الرحلة أخذ فاسكو دي جاما في تطبيق الأهداف الصليبية عمليا ، فقد تلقى أمرا صريحا من حكومته ، بأن يقوم باغلاق مدخل البحر الأحمر الجنوبي ، ومنع أية سفينة من دخول ذلك البحر أو الخروج منه [٢] .

وقبل قدومه الى الشرق في رحلته الثانية ، كانت البعثات البرتغالية قد سبقته في اقامة أول المحطات والمراكز في طريق الهند . فبعد سنة واحدة من عودة دي جاما من الهند من رحلته الأولى ، أرسلت بعثة سنة ٩٠٦ هـ/ ١٥٠٠ م بقيادة ديوجو دياز Diego Diaz وبعد عبور البرتغاليين رأس الرجاء الصالح

---

(١) زين الدين. تحفة المجاهدين. ص ٣٦ — ٣٧.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 63 - 64;

نعيم زكي **فهمي** ، نفس المرجع . ص ١٤٤ — ١٤٥ ؛ شارل ديل. نفس المرجع . ص ١٤٨ — ١٤٩.

ووصولهم الى شرق أفريقية احتلوا جزيرة مدغشقر ، واستولوا على كثير من مدن ساحل شرق أفريقية ، وفرضوا سيطرتهم عليه مثل موزامبيق وسفاله ، مستخدمين البنادق والمدافع مما سهل مهمتهم كثيرا [١] .

وفي أواخر نفس السنة ٩٠٦ هـ/ ١٥٠٠ م ، أمر ملك البرتغال مانويل بتجهيز حملة أكبر وأقوى هدفها انشاء مركز تجاري على ساحل الهند . وكانت الحملة بقيادة الفاريز كابرال Alvarez Cabral وتألفت من ثلاث وثلاثين سفينة وألف وخمسمائة رجل [٢] . وحدث أن تحطمت معظم السفن ، عند اجتياز رأس الرجاء الصالح ، ولم تصل الى كاليكوت سوى ست سفن فقط [٣] . وهناك تفاوض البرتغاليون مع الزامورين Zamorin ملك كاليكوت حول التجارة ، بأن تعدوا عليهم مما شكك الزامورين في نواياهم ، فأمر بقتالهم ، وقتل منهم نحو سبعين أو ستين رجلا ، فضرب كابرال كاليكوت بالمدافع [٤] . ولما رأى كابرال قوة أعدائه رحل الى لشبونة عائدا بفكرة وهي

(١) أنور عبدالعليم. نفس المرجع. ص ٥٥.

(٢) بانيكار. نفس المرجع. ص ٣٨ — ٣٩؛
Macgregor, op. cit. P. 595.

(٣) زين الدين. تحفة المجاهدين. ص ٣٦ — ٣٧؛ بانيكار. نفس المرجع. ص ٣٨ — ٣٩؛ انور عبدالعليم. نفس المرجع. ص ٥٦.

(٤) زين الدين. تحفة المجاهدين. ص ٣٦، ٣٧؛ انور عبدالعلم. نفس المرجع. ص ٥٦؛
Macgregor, op. cit. P. 595.

ضرورة الحصول على ثروات الهند الضخمة بالقوة الهائلة ، أو التخلي عن المحاولة [١] وتبعت حملة كابرال حملة أخرى بقيادة جون دانوفا John da Nova عام ٩٠٧ هـ/ ١٥٠١ م لنفس الغرض [٢]

وأخيرا قرر ملك البرتغال ارسال حملة أكبر وأقوى بقيادة فاسكو دي جاما ، مكونة من عشرين سفينة ، وقد سلمّه علم القيادة في احتفال كبير في الكنيسة الكاتدرائية بعد أن منحه لقب « أميرال البحار الشرقية » [٣] . وغادر فاسكو دي جاما لشبونة في ٩٠٧ هـ (مارس ١٥٠١ م) ، وعندما وصل الى « كلوة في شرق أفريقية قصفها بمدافعه ونيرانه بكل شراسة وعنف ، مدمرا جزءا كبيرا منها حتى أخضعها وأرغم سكانها على دفع الضريبة لملك البرتغال ، ثم غادرها الى ماليندي وهناك عامل السفن الآتية من كاليكوت بكل قسوة ، واستولى على كثير من سفن المسلمين التي كانت ترسو في ماليندي [٤] .

وأخيرا وصل دي جاما الى ساحل مليبار ، وهناك مارس

---

(١) Sousa. op. cit. Vol. (1). P.P. 63 - 64.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 60 - 61.

أنور عبدالعليم ، نفس المرجع ، ص ٥٦.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 63 - 64;

بانيكار ، نفس المرجع ، ص ٣٩ ، ٤٠.

(٤) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 64 - 65.

القرصنة ، والارهاب البشع ، وعامل المسلمين بالذات معاملة وحشية ، ولم يسلم منه حتى الضعفاء والعزل [(١)] ، فكان يقطع الطريق ويستولي على السفن دون تمييز . وقد دوّن بعض مؤرخي المسلمين في حوادث سنة ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢ م ، ما ارتكبه فاسكو دي جاما في حق الاسلام والمسلمين [(٢)] .

وذكر سوزا Sousa وغيره أن فاسكو دي جاما وجد أمام ساحل مليبار ، سفينة للحجاج قاصدة مكة المكرمة . وكانت السفينة تابعة للسلطان المملوكي قانصوه الغورى فاستولى عليها ، ونقل بضائعها الى سفنه ، ثم أحرقها بمن عليها . وبعد محاولة يائسة من ركاب السفينة للدفاع عن أنفسهم استقرت السفينة في قاع البحر [(٣)] .

وقد مرّ فاسكو دي جاما على كنانور - شمال كاليكوت - لحمل المتاجر ، ثم توجه الى كاليكوت وأرسل رسائل التهديد الى ملكها الزامورين Zàmorin . وأخيرا وقعت الحرب بين المسلمين يساعدهم الزاموريون، والبرتغاليون . ورغم الاسلحة

---

(١) بانيكار، نفس المرجع، ص ٤٠ — ٤١؛ أنور عبدالعليم، نفس المرجع ص ٥٦.

(٢) الشيلي، السنا الباهر، ورقة ٦٧؛ يحيي اليماني، أنباء أبناء الزمن ،ورقة ١١٢؛ ابن الديبع، قرة العين، جـ ٢، ص ٢٠٦.

(٣) Sousa. op. cit. Vol. (1). P.P. 65 - 66.
بانيكار، نفس المرجع، ص ٤٠ — ٤١؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ١٣٣ — ١٣٤.

البرتغالية القوية ، فقد استطاعت سفن المسلمين محاصرة أسطول دى جاما الذي خشي العاقبة فأبحر الى كنانور ، ثم الى كوتشين - جنوب كاليكوت - وعقد صلحا مع ملكها ، وأخيرا غادرها الى البرتغال آخذا معه تسع سفن تحمل ما لا يقل عن خمسة آلاف قنطار من البهار.[1]

(٤) نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح

ويمكن إجمال نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح في النقاط الثلاث الآتية وهي : تحقيق الأهداف الصليبية ، وتحويل طريق التجارة العالمية من البحر الأحمر والخليج العربي الى رأس الرجاء الصالح ، وانهيار تجارة المماليك والبنادقة .

أما عن تحقيق الأهداف الصليبية ، فلا شك أن عبور بارثلميو دياز رأس الرجاء الصالح ، ووصول فاسكو دى جاما الى الهند ، قد أعطى البرتغاليين الفرصة الكبرى ، لتحقيق أهدافهم الصليبية وإن لم تكن جميعها .

لقد رأوا القضاء على الاسلام في كل مكان ، مثلما قضوا على المسلمين في الأندلس وأعادوها نصرانية متعصبة تغلي حقدا

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 65 - 69;
بانيكار، نفس المرجع، ص ٤١ — ٤٢؛ أحمد دراج، نفس المرجع، ص ١٣٢.

على المسلمين ، فساروا على نفس النهج في قتل وتعذيب المسلمين ، وهدم المساجد وتدمير المدن الاسلامية ، وحرق السفن بمن عليها في عرض البحر . وخص البرتغاليون المسلمين فقط بهذه المعاملة الوحشية . أما غير المسلمين من الهنود والصينيين وغيرهم ، فقد عاملوهم معاملة حسنة ولم يتعرضوا لهم بسوء [١] . وذكر هذه الحقيقة زين الدين في كتابه وقرر أن عداوتهم كانت للمسلمين فقط دون غيرهم [٢] .

وأصبحت السفن الاسلامية لا تبحر الا بتصريح برتغالي ، يصدره ملك البرتغال . وكان البرتغاليون في بداية الأمر يراعون هذا التصريح فلا يتعرضون للسفن التى تحمله ، ثم تطور الأمر وأصبحت المراكب البرتغالية تمارس أعمال القرصنة في البحار ، ولم يعد التصريح الا اجراء شكليا . فما أن تخرج السفن الإسلامية الى عرض البحر حتى يهاجموها سواء كان لديها تصريح أم لا ، فيسلبونها ويغرقون من فيها [٣] .

وهزت هذه الحوادث مشاعر المسلمين في كل مكان ، فدونها مؤرخو المسلمين في القرن العاشر الهجري ، فعلى سبيل

---

(١) بانيكار، نفس المرجع ، ص ٥٢.

(٢) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤٦.

(٣) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٦٨ ــ ٦٩،

Serjeant, op. cit. P. 18.

المثال ذكر القاضي زين الدين أفعالهم في الهند من تعطيل أسفار المسلمين وخصوصا للحج ، والاستيلاء على سفنهم ونهب أموالهم واحراق مدنهم ومساجدهم ، ووطء المصاحف بأقدامهم واحراقها ، وهتك حرمات المساجد ، وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم ، وسب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جهارا ، وإجبار المسلمين والمسلمات على التنصير [1] .

وذكر ابن ماجد نفس المعنى فيقول في أرجوزته :

وسار فيها مبغض الاسلام
والناس في خوف واهتمام [2]

وقال قطب الدين النهروالي : « وصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسراً ونهباً ، ويأخذون كل سفينة غصباً الى أن كثر ضررهم على المسلمين » [3] . وذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩١٦ هـ/ ١٥١٠ م بأن عدد السفن الافرنجية ، التي تهاجم سفن المسلمين على شواطىء الهند بلغت خمسين سفينة [4] .

(١) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤٤ — ٤٦؛ احمد الساداتي، تاريخ المسلمين في الهند، جـ ٢، ص ١٩١ — ١٩٢.

(٢) أحمد بن ماجد، ثلاث أزهار، ص ٤٣.

(٣) النهروالي، البرق اليماني، ص ١٨ — ١٩.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ١٨٥.

حقا لقد نظروا الى المسلمين نظرة مهينة ، ولم يكترثوا بالحياة الانسانية لغير المسيحيين [1] . ورغم هذه الوسائل الوحشية التي اتبعها البرتغاليون ضد المسلمين لتحويلهم عن الاسلام ، فان المقاومة الاسلامية اشتدت يوما بعد يوم ، فتصدى سلاطين المسلمين في جوجيرات (كوجرات) والديو للبرتغاليين عسكرياً ، كما راح الدعاة المسلمون يواجهون حركة التبشير ، واجبار المسلمين على التنصير بالعمل على نشر الدعوة الاسلامية [2] .

وحاول البرتغاليون كثيرا اختراق البحر الأحمر والوصول الى الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز . وتنبه سلاطين المماليك في مصر لخطورة الأمر ، وأحبطوا هذه المحاولات الصليبية . ثم جاءت الدولة العثمانية لتكمل المهمة ، وتحكم سيطرتها على البحر الأحمر نهائيا ، وتجعله ـ كما كان ـ بحراً اسلامياً خالصاً .

أما عن تحول التجارة العالمية من البحر الأحمر والخليج العربي الى رأس الرجاء الصالح ، فقد كانت السفن التجارية تسلك طريقي البحر الأحمر والخليج العربي الى موانىء الشام ومصر على البحر المتوسط حيث ينقلها التجار البنادقة على سفنهم الى أوربا . ولكن ما أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، حتى أخذوا جادين في تحويل الطرق التجارية عن

---

(١) Serjeant, op. cit. P.P. 30 - 31.

(٢) توماس ارنولد، الدعوة الى الإسلام، ص ٢٩٨.

المنفذين القديمين لها في الخليج العربي والبحر الأحمر الى طريقهم الجديد [١] .

وبدأ البرتغاليون أولا في توطيد مركزهم على الساحل الهندي ، فنرى فاسكو دي جاما منذ وصوله في أول رحلة له ، حصل على اذن بالتجارة من الزامورين حاكم كاليكوت ، وفي رحلته الثانية ، حاول القضاء على نفوذ التجار المسلمين في الشاطىء الهندي ، ومنعهم من ممارسة التجارة عن طريق القوة . ورغم المعارضة التي وجدها البرتغاليون من المسلمين والزامورين في الهند ، الا انهم واصلوا جهودهم بأن صالحوا أهل كوتشين وكنانور ، وأصبحوا يتاجرون من هاتين المدينتين في بادىء الأمر [٢] .

وجاءت بعد ذلك الخطوة الثانية لتحويل طريق التجارة بمهاجمة السفن الاسلامية عند مدخل البحر الأحمر والخليج العربي ، والاستيلاء عليها .

ويذكر ابن الديبع في حوادث سنة ٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢ م مثالا لأفعالهم فيقول : « وفي هذه السنة ظهرت مراكب الافرنج في البحر بطريق الهند وهرمز وتلك النواحي ، وأخذوا سبعة

---

(١) Shaw, op. cit. P. 83.

(٢) انظر ما سبق، ص ٨٩ — ٩٣.

مراكب وقتلوا أهلها » [1] وفي سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م هاجم البرتغاليون جزيرة سوقطرة ، وأنشأوا حصنا للإشراف على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي في محاولة للقضاء على نفوذ سلاطين المماليك . وفي نفس السنة أيضا ، هاجموا هرمز مفتاح الخليج العربي واحتلوها [2] .

ولما تبين للبرتغاليين أن سوقطرة لا تمثل مفتاح البحر الأحمر فكروا في احتلال عدن ، المدخل الحقيقي له [3] . ففي عام ٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م قدم البرتغاليون الى عدن في ثمانية عشر مركبا بقيادة البوكيرك ، وحاولوا اقتحامها عدة مرات . ولكن نظرا لحصانة موقعها الطبيعي والكفاح المستميت لأهل المدينة ، وحاكمها مرجان الظافري ، فشل البرتغاليون في اقتحام عدن واكتفوا بحرق المراكب الموجودة في الميناء . ثم ساروا الى المخا في الشمال ثم الحديدة فوجدوا نفس المقاومة من جانب العرب المسلمين ، فارتدوا عنها ، ثم نزلوا في جزيرة كمران واحتلوها . وتهيأوا لاعادة الكرة مرة أخرى على عدن ، ولكنهم هزموا مرة أخرى ، فرحلوا الى الهند [4] . ولم تتوقف المحاولات البرتغالية

---

(١) ابن الديبع ، قرة العين، ص ٢٠٦.

(٢) ابن المطهر، روح الروح، ورقة ٧؛ ابن الديبع ، قرة العيون،ص ٢١١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ ٨، ص ٦٠؛ سيديو، نفس المرجع ، ص ٤٣٢.

(٣) Cook (editor). A History of the Ottoman Empire, P.P. 89 - 90; Serjeant. op. cit. P. 19

(٤) ابن المطهر، روح الروح، ورقة ٩، ابن الديبع ، قرة العيون،ص ٢١٦ — ٢١٨.

لاحتلال عدن حتى سقوط دولة المماليك في أيدي العثمانيين .

ولكي يتم تحويل الطريق التجاري تماما الى رأس الرجاء الصالح ، سيطر البرتغاليون على سفالة وموزمبيق . ففي نفس السنة (٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م) هاجم البرتغاليون زيلع وبربرة ، واستخدموا هذه المحطات للاستيلاء على سفن العرب القادمة من البحر الأحمر وتحطيمها [١] كما استعملت هذه المراكز التجارية لامداد غزواتهم في بلاد العرب ، وفرض الرقابة على السفن المارة [٢] ، ذلك لكي يضمنوا لأنفسهم السيادة على أسواق التوابل .

أما النتيجة الثالثة من نتائج كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، فهي انهيار تجارة البنادقة والمماليك . فبعد أن نجح البرتغاليون في اغلاق البحر الأحمر والخليج العربي في وجه تجارة الهند ، في بداية القرن العاشر وتعرض البرتغاليون لسفن المسلمين في المحيط الهندي انقطع المورد المالي لسلطنة المماليك ، وكذلك تدهور المركز المالي والتجاري لمدينة البندقية التي احتكرت نقل وتجارة السلع الشرقية الى أوربا .

لقد انقلب الميزان التجاري ، فبعد أن كانت أسعار

---

(١) نعيم زكي فهمي، نفس المرجع، ص ١٧٧.
(٢) محمد البحراوي، نفس المرجع، ص ٦٨ — ٦٩.

التوابل ، تصل في أوربا الى ثلاثة أضعاف ثمنها الحقيقي ، نجد أنه بعد أن تحولت التجارة الى رأس الرجاء الصالح ، انخفضت أسعارها في لشبونة بشكل مذهل ، فقنطار الفلفل كان يباع في الاسكندرية بحوالي ثمانين بندقي أصبح يباع في لشبونة بعشرين بندقي تقريبا [١] ، كما انخفضت تكاليف النقل بنسبة ستين في المائة (٦٠ ٪) [٢] .

ولم يبق أمام البندقية سوى أن تختار بين أمرين ، إما أن تبتاع ما تريد من التوابل من لشبونة ، أو أن تحاول ضرب نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي . وبالفعل اتخذت البندقية لها في بادئ الأمر طريق المقاومة من أجل استرداد سوق البهار ، فأوفدت سنة ٩٠٨ هـ/١٥٠٢ م ، مبعوثها الى القاهرة بندتو سانودو : Banedetto Sanudo لتحذير السلطان المملوكي قانصوه الغورى من عواقب سيطرة البرتغاليين على المحيط الهندي . كما طلبت منه أن يخفض أثمان التوابل الباهظة في موانئ السلطنة المملوكية لكي يساعدهم على الوقوف في وجوه خصومهم [٣] .

وتلت هذه السفارة سفارة أخرى سنة ٩١٠ هـ/ ١٥٠٤ م

(١) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٢) Milles, op. cit. P. 140.

(٣) شارل ديل ، نفس المرجع ، ص ١٤٧ — ١٤٨ ؛ أحمد دراج ، المماليك والفرنج ، ص ١٣٣ .

لنفس غرض السفارة الأولى . وكان جواب السلطان المملوكى لكلا السفارتين ، بأنه لا يستطيع أن يعمل شيئا اذا ترك وحيدا أمام البرتغاليين ، ويجب على البنادقة معاونته في تجهيز حملة ضد البرتغاليين في المحيط الهندي . ولكن البندقية تلقت تهديدا شديدا من الملك البرتغالي مانويل لمعاونتها أعداء المسيحية وأعداء البرتغال [١] .

وبعد هزيمة المماليك في معركة ديو سنة ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م لم تجد البندقية أمامها سوى الاتجاه الى لشبونة كبقية دول أوربا ، لتبتاع منها التوابل [٢] .

أما من ناحية انهيار تجارة سلاطين المماليك ، فإن من مظاهرها انخفاض المتحصلات المالية المفروضة على متاجر الشرق ، وندرة السلع المجلوبة من الهند ، وامتناع التجار البنادقة عن الوفود الى موانىء مصر لعدم وصول المتاجر الهندية [٣] .

ورغم هذه الكارثة ، لم يحاول سلاطين المماليك تخفيض الضرائب الجمركية ، مما شكل اجحافا في حق التجار ، وظلما للرعية ، كما عاد بالخراب على تجارة الدولة المملوكية . [٤] .

---

(١) احمد دراج . المماليك والفرنج . ص ١٣٣ ؛ نعيم زكي . نفس المرجع . ص ٨٩ — ٩٠

(٢) شارل ديل . نفس المرجع . ص ١٥٢ — ١٥٣ .

(٣) ابن اياس . بدائع الزهور . جـ ٥ . ص ٩٠ ؛ Serjeant, op. cit. P. 15.

(٤) ابن اياس . بدائع الزهور . جـ ٥ . ص ٩٠ .

وهكذا نرى أن البرتغاليين قد حرموا السلطنة المملوكية من مصدر ثرائها الأول ، وأصبحت لشبونة هي وجهة التجار الأوربيين ، بعد أن تحولوا عن البندقية التي لم تجد في موانىء مصر والشام المتاجر والسلع اللازمة للقيام بتجارتها المعتادة .

وحاول المماليك تفادى هذا الخطر ، لكن محاولتهم جاءت متأخرة نظرا لازدياد قوة البرتغاليين ، وتوطيد اقدامهم في الهند . في سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م ، بعث السلطان الغورى حملة بحرية الى الهند ، مكونة من ثلاث عشرة سفينة وألف وخمسمائة رجل ، بقيادة حسين الكردى [١] ، ووصل حسين الكردى الى جزيرة « ديو » وهناك انضمت اليه سفن مالك اياس حاكم الجزيرة ، ثم توجهوا الى شول Chaul وهناك قابلوا اسطولا برتغاليا بقيادة لورنزو دي الميدا Lourenco de Almeyda ابن نائب الملك في الهند فرانسيسكو دي الميدا Francisco de Almeyda واشتبك الأسطول فحلت الهزيمة بالبرتغاليين ، وقتل القائد لورنزو ، ثم توجه الامير حسين ومالك اياس الى ديو مرة اخرى لإصلاح السفن [٢] .

---

(١) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤٠ — ٤١.
Sousa, op. cit. Vol. (1). P. 134.
بانيكار، نفس المرجع، ص ٤٢.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ١٤٢. زين الدين، تحفة المجاهدين ص ٤٠، ٤١.
Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 137 - 138

وكمن البرتغاليون بقيادة نونو فاز بيريرا : Nunno vaz Pereira للأمير حسين الكردى بعد أن قرر نائب الملك الانتقام لابنه ، وهاجموه على حين غرة في عام ٩١٥ هـ (٣ فبراير ١٥٠٩ م) ، وأوقعوا به الهزيمة واستولوا على بعض سفنه ، وأغرقوا أكثرها ، وقتل معظم عساكر الأمير حسين ، ولكنه جرح وفرّ الى ملك كنبايه محمود شاه ، ثم عاد بعد ذلك الى مصر حيث عين نائبا على جدة [١] .

وفي سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م هاجم البوكيرك عدن للاستيلاء عليها ، فاستولى على كمران . ووصلت أخباره الى السلطان الغورى ، الذى استنجد به عامر بن عبد الوهاب حاكم اليمن ، وكذلك أمراء جوجيرات وكاليكوت ، فأخذ السلطان المملوكي في تجهيز حملة أخرى لتتوجه الى الهند [٢] . وطلب السلطان المملوكي العون العسكري من البندقية ولكنها رفضت لكي لا تظهر أمام العالم المسيحي بمظهر الخيانة . فتوجه السلطان الغوري بطلبه الى السلطان العثماني بايزيد الثاني الذي أمده بالأسلحة والأخشاب اللازمة للأسطول ، لإنقاذ الأماكن الإسلامية المقدسة [٣]

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٣٠٨ ؛ زين الدين ، تحفة المجاهدين ، ص ٤٠ — ٤١ ،
Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 147 - 149.

(٢) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ١٨٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ؛ النهروالي ، البرق اليماني ، ص ١٩ .

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ — ٢٠٣ ؛ نعيم زكي ، نفس المرجع ، ص ٣٠ — ٣١ ، ٩١ — ٩٢ ، محمد البحراوي ، نفس المرجع ، ص ٤٧ .

وأخيرا تم بناء نحو عشرين سفينة في السويس ، وجعل هذا الأسطول تحت قيادة حسين الكردى ، والرئيس سلمان العثماني [1] . وتوجهت المراكب الى جدة ومن ثم الى اليمن سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م . وهناك قضى الأمير حسين على الدولة الطاهرية باليمن ، ولم يستطع تحقيق الغرض الرئيسي من الحملة ، وهو الذهاب الى الهند ومنازلة البرتغاليين ، وان كان قد أمّن مدخل البحر الأحمر ضدهم .

وفي سنة ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م ، عاد حسين الكردى الى جدة بعد أن ترك في اليمن نائبا عنه هو برسباى الجركسى. واستمر في جدة حتى سقطت الدولة المملوكية في أيدي العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧ م .

ولو عدنا الى السبب الرئيسي في سقوط سلطنة المماليك لوجدنا أن هيمنة البرتغاليين على التجارة لم تكن العامل الرئيسي الأول في تدهور السلطنة المملوكية وسقوطها في أيدي العثمانيين . فقد وصلت السلطنة المملوكية خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجري الى حالة من الضعف والانهيار نتيجة عوامل كثيرة داخلية وخارجية .

فقد حاول الشاه اسماعيل الصفوى التحالف مع الافرنج -

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٤٥٨ ؛ زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤١ — ٤٢.

البنادقة والجنويين - ضد السلطان المملوكي [١] . ومدّ العثمانيون نفوذهم الى أراضي السلطنة المملوكية لمواجهة النفوذ الصفوى والوصول الى الحرمين الشريفين ، هذا بالاضافة الى ضعف القوى العسكرية في دولة المماليك حيث امتنع المماليك عن الأخذ بنظام الاسلحة المتطورة مثل البنادق والمدفعية وتشبثوا بالسيف والرمح مما أضر بقوة الدولة العسكرية [٢] .

أما من الناحية الداخلية فقد تدهور اقتصاد السلطنة المملوكية نتيجة سوء الأحوال الزراعية والتجارية واستحداث ضرائب جديدة أرهقت الناس ، بالاضافة الى ظلم وجور المماليك للرعية [٣] .

هذه العوامل كلها ساهمت في تدهور وانهيار قوة دولة المماليك وبالتالي سقوطها في أيدي العثمانيين ، ولم يكن توسع البرتغاليين سوى عامل من هذه العوامل . لقد هاجم البرتغاليون البحر الأحمر للاستيلاء عليه ، ولكن ردتهم عنه قوة المقاومة

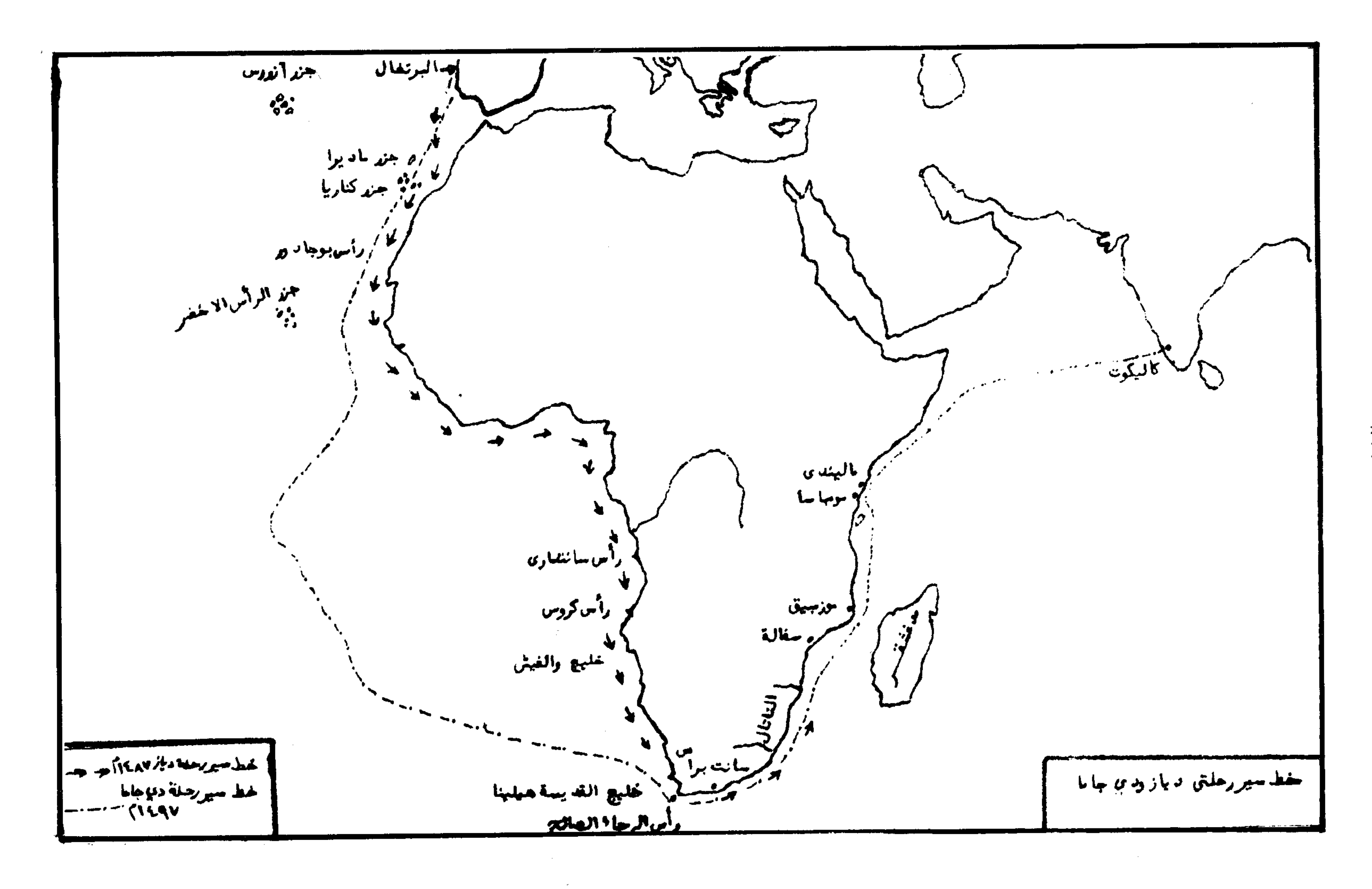
---

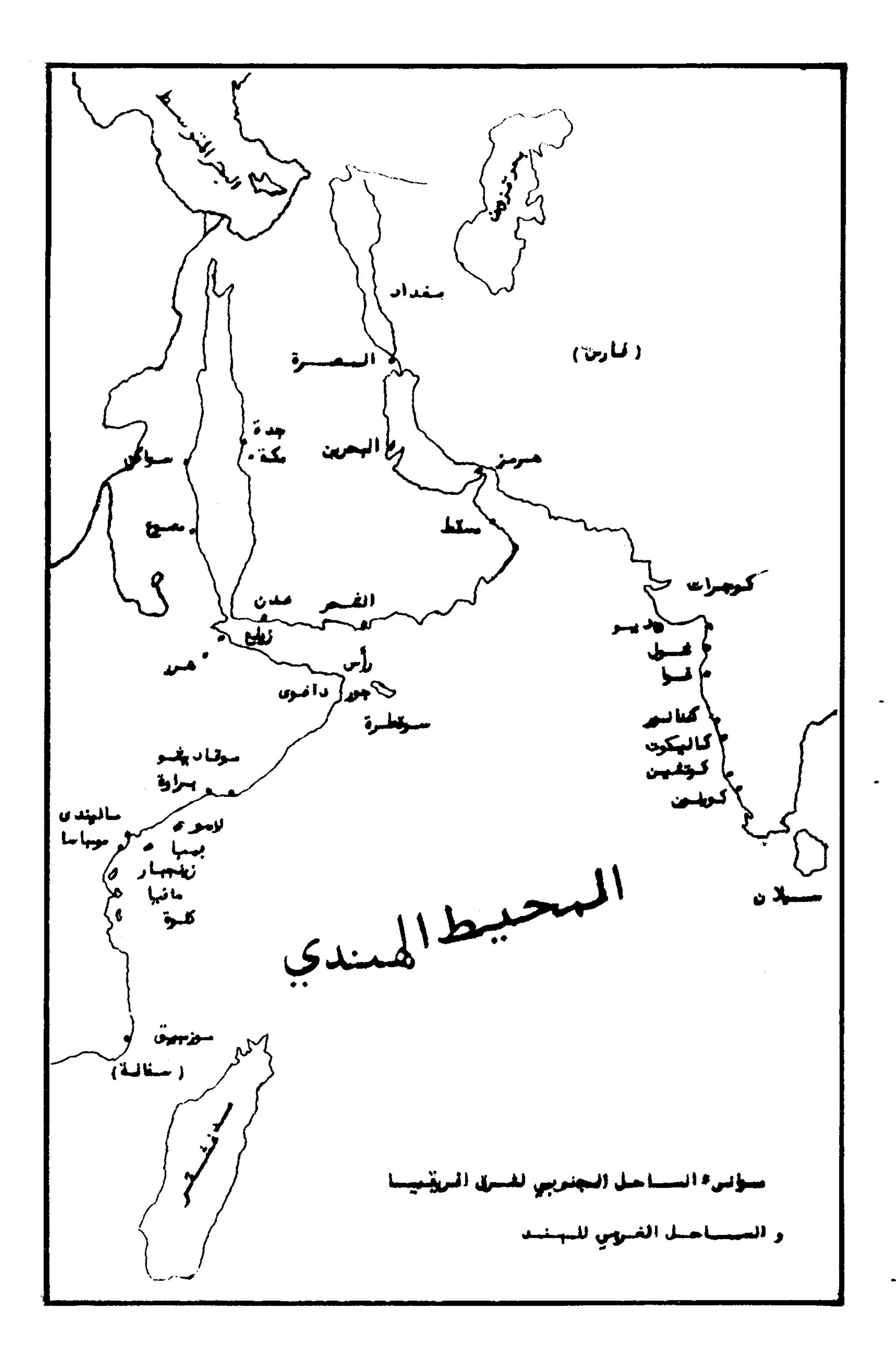
(١) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٤، ص ٢٠١، ٢٠٥؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، جـ ١، ص ٣٤٢.

(٢) Cook. op. cit. P. 72; Rabie, political Relations. P.P. 5 - 6;
عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث، ص ٤٥ — ٤٦.

(٣) الشيلي، السنا الباهر، ورقة ١٩٠، النهروالى، الاعلام، ص ٢٤١ — ٢٤٢.
Cook. op. cit. P. 73.

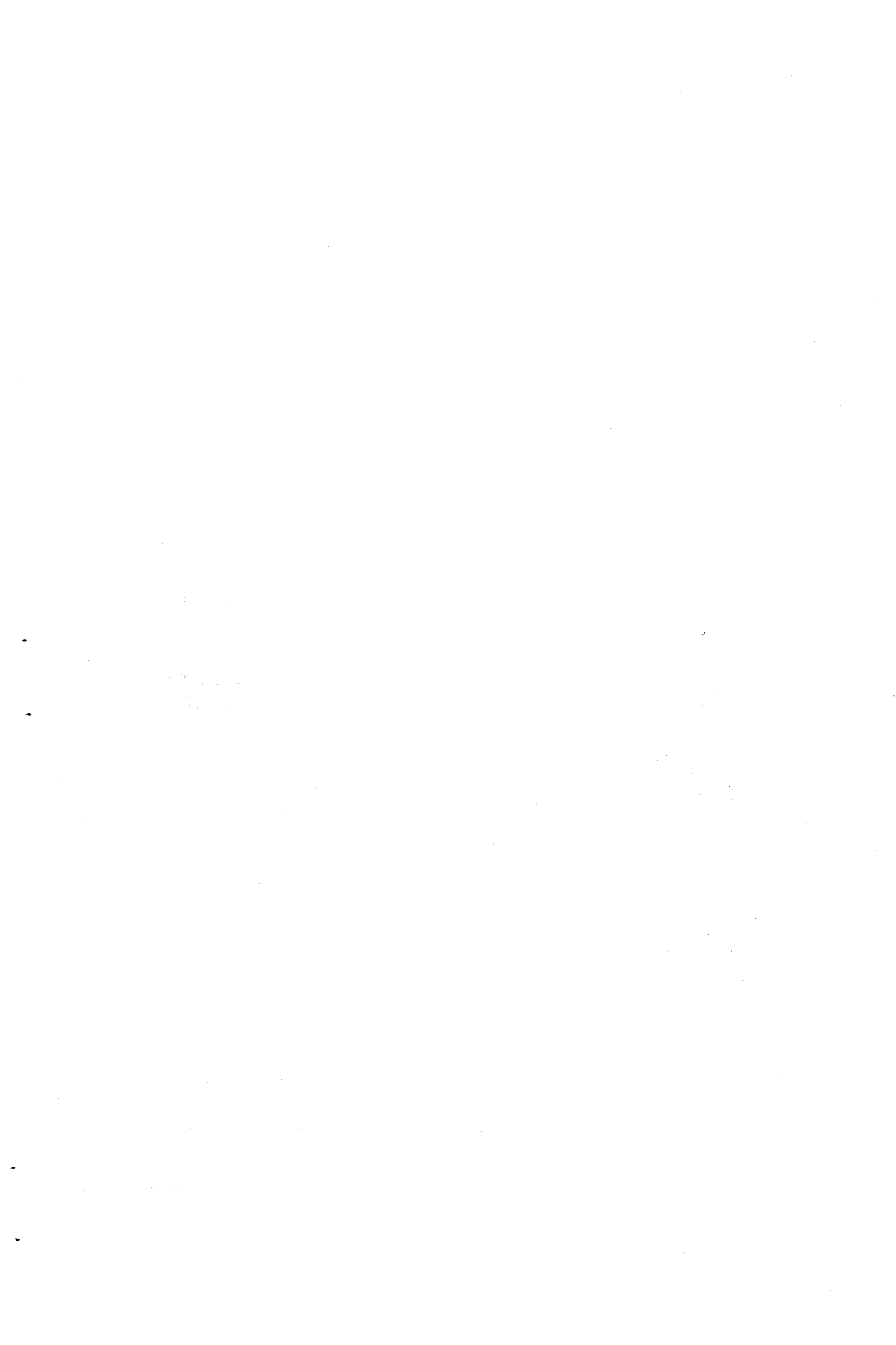
المملوكية . وبعد سقوط سلطنة المماليك تولى العثمانيون مهمة الدفاع عن هذا البحر بقوة أكبر ، لذلك تطلع البرتغاليون الى مد نفوذهم الى الخليج العربي . وهو موضوع الفصل الثالث .


خط سير رحلتي دياز ودي جاما
خط سير رحلة دياز ١٤٨٧م
خط سير رحلة دي جاما ١٤٩٧م
البرتغال
جزر آزورس
جزر ماديرا
جزر كناريا
رأس بوجادور
جزر الرأس الأخضر
رأس سانتماري
رأس كروس
خليج والفيش
خليج القديسة هيلينا
رأس الرجاء الصالح
سانت براس
الناتال
صفالة
موزمبيق
مومباسا
ماليندي
كاليكوت
مدغشقر



سواحل الساحل الجنوبي لشرق افريقيا

و الساحل الغربي للهند



الفصل الثالث

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري. وموقف أبناء الخليج والعثمانيين والصفويين.

١- غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربي وسيطرتهم عليها.

٢- تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي.

٣- موقف أبناء الخليج والعثمانيين والصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي.

(١) غزو البرتغاليين مراكز التجارة في الخليج العربي وسيطرتهم عليهـــا

يرتبط ذكر الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج العربي بسيرة الفونسو دي البوكيرك Alfonso de Albuquerque القائد البرتغالي ، الذي وفد الى الشرق في سنة ٩٠٩ هـ (فبراير سنة ١٥٠٣ م) . وخلال مدة اقامته في الهند وضع البوكيرك خطة حكيمة لتحقيق سيادة البرتغاليين البحرية ، وذلك باحتلال الموانىء التجارية على طول الطريق البحري بين الهند ورأس الرجاء الصالح ، وجعلها مراكز منيعة للبرتغاليين (١) .

وفي سنة ٩١٢ هـ/ ١٥٠٦ م ، عاد البوكيرك مرة أخرى الى الشرق ومعه أمر سرى من ملك البرتغال ، بتعيينه نائباً للملك في الهند ، خلفاً لدوق الميدا نائب الملك السابق في الهند (٢) . وصل البوكيرك ومعه أيضا الموافقة على خطته التي عرضها مسبقا على الملك ، وهي سد منافذ التجارة الاسلامية المتمثلة في البحر الأحمر والخليج العربي (٣) .

---

(١) Milles, op. cit. P. 140, Encyclopaedia Britannica, Article portugal, Macgregor, op. cit. 599.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 139 - 140; Milles, op. cit. P. 141;
لوريمر، نفس المرجع، جـ ١، ص ١٢ — ١٣.

(٣) صلاح العقاد، التيارات السياسية، ص ١٤ — ١٥.

وفي سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م ، استولى البوكيرك على جزيرة سوقطرة الواقعة في منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي ، كما هاجم عدن في نفس السنة ، ولكنه فشل أمامها [١] ، فتوجه الى الخليج العربي الذي كان أكثر سهولة من البحر الأحمر . وبدأ الغزو البرتغالي لمراكز التجارة في الخليج ، وأهمها ـ من الجنوب الى الشمال ـ قلهات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان وهرمز والبحرين والقطيف والبصرة .

أبحر البوكيرك الى الخليج العربي في سبع سفن وأربعمائة وستين محاربا [٢] . ووصل الى قلهات في سنة ٩١٣ هـ (أغسطس سنة ١٥٠٧م) بعد أن مرّ على جزيرة مصيره ورأس الحد وصور على الساحل العماني وألقى مراسيه فيها بعد أن ألقى في قلوب سكانها الرعب بأفعاله الوحشية عند دخوله المياه العمانية ، حيث دمر السفن والمراكب الراسية في الموانىء السالفة الذكر [٣] .

كانت قلهات تابعة لمملكة هرمز الفارسية ، وخطط البوكيرك للقضاء على هذه المملكة بالاستيلاء على جميع الموانىء التابعة لها . وبعد وصوله الى مدينة قلهات بيوم واحد ، أرسل البوكيرك الى الحاكم وفدا من قبله يطلب تسليم المدينة دون قيد أو

---

(١) انظر ما سبق ذكره .

(٢) Sousa. op. cit. Vol. (1). P. 126.

(٣) Milles. op. cit. P. 143.

شرط ، ونقل تبعيتها لملك البرتغال [١] . ووافق الحاكم الفارسي خوفا من تدمير المدينة ، وقدّم للبوكيرك الامدادات اللازمة للاسطول ، وعقد معه الصلح [٢] .

ورغم الصلح الذى عقده البوكيرك مع حاكم قلهات ، الا أن المدينة لم تسلم من التدمير والنهب ، فبعد حصار البوكيرك لهرمز سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م ، رحل عنها بعد تمرد قواته عليه وعاد الى سوقطرة [٣] . وبعد ذلك رجع البوكيرك الى قلهات في سنة ٩١٤ هـ (اغسطس ١٥٠٨ م) ، للانتقام منها ، لمساعدتها هرمز أثناء حصار البرتغاليين لها . وحاول البوكيرك في هذه المرة استدراج حاكم قلهات « شريف الدين » الى سفينته للغدر به ، ولكنه أفلت منه ، عن طريق الاعتذار ، لذلك هاجم البوكيرك المدينة واستولى عليها ، وأمر بنهبها . وحاول شريف الدين - الذي التجأ الى الجبال - استرداد المدينة ولكنه فشل في ذلك ، وحمل البوكيرك المؤن والغنائم الى سفنه ، وأمر بحرق المدينة وهدم المسجد الجامع بها [٤] .

أما استيلاء البرتغاليين على قرياط - التي تقع على مسافة

---

(١) Milles. op. cit. P. 144.

(٢) Sousa. op. cit. Vol. (1). P.P. 126 - 167.

(٣) سياتى ذكر ذلك فيما بعد .

(٤) Sousa. op. cit. Vol. (1). P.P. 140 - 141; Milles. op. cit. P.P. 152 - 153.

عشرة فراسخ من قلهات - فقد وصلها البوكيرك في سنة ٩١٣ هـ (٢٢ أغسطس ١٥٠٧ م) [١] . ووجد البوكيرك في قرياط استعداد السكان للمقاومة فلم يبعث اليهم بوفد كما فعل مع قلهات . بل قصف المدينة بعنف فوجد استبسالا في التصدى والمقاومة ، مما أطال زمن المعركة ، ولكن في النهاية تغلبت الأسلحة البرتغالية القوية ، فتراجع أهل المدينة ودخلها البوكيرك ، وأعمل فيها مذبحة بشعة ، قتل البرتغاليون فيها كل من وقع تحت أيديهم من الأهالي العزّل دون تمييز [٢] . وأخيرا تم احراق المدينة ، وأسر كثير من أهلها ، وأحرق البرتغاليون جميع السفن التي كانت في الميناء ، ولم يكفهم كل هذا بل عمدوا الى تشويه الأسرى العزّل بصمل آذانهم وجدع أنوفهم [٣] .

ثم توجه البوكيرك بعد ذلك الى مسقط . ومسقط - كما هو معروف - الميناء الرئيسي على ساحل عمان ، وأكثرها مناعة وحصانة . وترامى الى آذان سكانها أنباء كارثة قرياط قبل أن يقدم اليهم البوكيرك ، فراحوا يحصنون المدينة بالمدافع ، وبناء سور اضافي حولها . ورغم كل ذلك لم تكن لديهم نية الدخول في حرب مع البرتغاليين منذ البداية .

---

(١) لوريمر، نفس المرجع ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) Milles. op. cit. 144 - 145.

(٣) Sousa. op. cit. Vol. (1) P.P. 126 - 127; Milles. op. cit. P.P. 144 - 145; Serjeant, op. cit. P. 15.

وصل البوكيرك الى مسقط ، بعد أربعة أيام من مغادرته لقرياط . ورسا على مقربة منها ، وتقدم اليه وفد من أهالي المدينة ، عارضين استعدادهم للتفاهم سلماً ، راجين منه عدم التعرض لمدينتهم بسوء [1] .

وفي أثناء المفاوضات تلقت مسقط تعزيزات كبيرة من ملك هرمز ، مما جعل وفدها يفاوض من مركز القوة الى حد ما [2] . وقد اشترط عليهم البوكيرك دفع ضريبة سنوية ، وامداد أسطوله بالمؤن والماء ، والخضوع لملك البرتغال ، ووافق المتفاضون على إمداده بالمؤن ، ولكنهم رفضوا الخضوع لملك البرتغال . فما كان من البوكيرك الا أن هاجم مسقط من عدة جهات مستخدما المدافع والاسلحة النارية . وقاوم السكان بضراوة وأنزلوا بقوات البوكيرك خسائر كبيرة . وأخيرا استطاع البرتغاليون اقتحام المدينة والاستيلاء عليها . وأعمل البوكيرك ورجاله مذبحة رهيبة بين السكان رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً [3] .

ويذكر ميلز في كتابه [3] أن مسلك البوكيرك كان يستحق اللوم ، اذ أنه بعد أن هزم العرب وتجمع الجنود البرتغاليون

---

(١) Sousa. op. cit. Vol. (1). P. 127; Milles, op. cit. P.P. 145 - 146;
قدرى قلعجي ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٦٤.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (1) P. 127; Milles. op. cit. p. 146.

(٣) Milles, op. cit. P.P. 146 - 147.

(٤) Milles, op. cit. P. 146.

المشتتون ، أمر القائد البرتغالي بذبح معظم السكان الباقين ، رجالا ونساء وأطفالا بدون تمييز .

هذه الأعمال الوحشية لازمت الصليبيين الأوربيين في جميع حروبهم ضد المسلمين . وتذكرنا المذبحة التي أعملها البوكيرك في أهالي مسقط ، بالمذبحة التي اقترفها الصليبيون عند غزوهم بيت المقدس في حملتهم الصليبية الأولى ، حيث نرى نفوسهم الحاقدة لا ترويها الا الدماء [١] .

وبعد نهب مدينة مسقط ، وتزويد السفن بالمؤن استعد البوكيرك لحرق المدينة . وقد رجاه من التجأ من السكان الى الجبال أن ينقذها من الحرق ، ولكنه اشترط عليهم دفع فدية كبيرة ، كان من الصعب على من تبقى من السكان دفعها . لذلك أضرمت النيران في مسقط ، ودمرت مساجدها ، وتركها البرتغاليون خاوية على عروشها [٢] .

بعد تدمير مسقط ، دبّ الخلاف بين البوكيرك وبين القبطان جوا دى نوفا Joao de Nova قائد السفينة « فلور دي لامار » Flor de Lamar وواجه البوكيرك هذا التمرد باستعمال العقوبات الشديدة [٣] . ثم سار بأسطوله الى صحار ، ورسا أمام قلعتها

---

(١) انظر ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ ١، ص ٤٠٤ — ٤٠٦.

(٢) Milles, op. cit. P. 147;

لوريمر، نفس المرجع، ص ١٢ — ١٣؛ قدري قلعجي، نفس المرجع، ص ٣٦٥.

(٣) Milles, op. cit. P. 149.

الحصينة الضخمة . ونظرا لأن القلعة كانت تفتقر الى حامية قوية للدفاع عنها ، أرسل حاكم المدينة الى البوكيرك رسالة يلمح له فيها برغبته في السلام وعقد الصلح مع البرتغاليين . ورغم ذلك استعد البوكيرك للهجوم على المدينة في اليوم التالي ، لولا أن وصل اليه وفد من الحاكم يعلن خضوعه لملك البرتغال ، وتسليم القلعة .

وفرض البوكيرك ضريبة سنوية ، ووضع العلم البرتغالي في أعلى القلعة ، وأبقى حاكم المدينة مسئولا عنها بعد أن اعترف بالولاء للملك البرتغالي [١] .

اتجه البوكيرك بأسطوله بعد ذلك الى خورفكان ، في أواخر عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧ م . وكانت أخبار البرتغاليين وأفعالهم الوحشية قد ملأت المدينة ، فاستعد السكان للمقاومة . وانتظر البوكيرك استسلامهم كما حدث في صحار الا أنهم لم يفعلوا . فقصف البرتغاليون المدينة بالمدافع واقتحموها ، فتراجع الأهالي الى القلعة وتحصنوا بها ، فأرسل البوكيرك خلفهم ابن أخيه انطنيو Antonio فواجه مقاومة عنيفة واستبسالا رائعا . ولحقت بالبرتغاليين خسائر كبيرة ، قبل هزيمة سكان خورفكان . ونهبت

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 149 - 150;
لوريمر، نفس المرجع، ص ١٣؛ قدري قلعجي، نفس المرجع، ص ٣٦٥.

المدينة لمدة ثلاثة أيام ، وأسر البرتغاليون الكثير من أهلها ، وعملوا على تشويههم بقطع آذانهم وأنوفهم ، وأخيرا جعلوا المدينة طعماً للنيران [١] .

وجاء دور هرمز مفتاح الخليج العربي ، وأهم مركز تجاري به . وكانت هرمز مملكة ذات نفوذ كبير ضمت معظم موانىء الشاطىء العماني لمدة قرنين من الزمان ، فكانت تخضع لها كل من قلهات وقرياط ومسقط وصحار وخورفكان والبحرين [٢] .

وقبل أن يهاجم البوكيرك هرمز ، عمل على تحطيم قوتها ونفوذها بتدمير المدن التابعة لها ، وعندما سار اليها البوكيرك وجدها غير تلك المدن التي دمرها وأحرقها ، اذ وجدها مدينة منيعة محصنة مستعدة أتم الاستعداد لمواجهته بعد أن وصلتها أنباؤه مبكرة . وكان يحكم هرمز في ذلك الوقت الملك سيف الدين ، وهو ابن اثنا عشر عاما ، تحت وصاية مربية الشيخ خوجه عطار الذي عمل جاهدا على جمع أكبر قدر من القوات - من الفرس والعرب - لحماية الجزيرة [٣] . ورغم استخدام

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 127 - 128; Milles. op. cit. P.P. 150 - 151;
قدري قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥.

(٢) جاء ذكر ذلك فيما سبق .

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 128 - 129;
عبدالعزيز نوّار، تاريخ العرب الحديث، ص ٦٩.

قوات هرمز للمدافع ضد البرتغاليين الا أن أسلحة أعدائهم كانت أكثر قوة وتقدما . وحاصر البوكيرك الجزيرة وطلب من ملكها التسليم والخضوع لملك البرتغال . ورفض الشيخ عطار باصرار ، فبدأ البرتغاليون باطلاق مدافعهم فهاجمهم المدافعون في القوارب والسفن . وحدثت معركة هائلة استبسل فيها أهل الجزيرة استبسالا عظيما قبل أن يهزمهم البوكيرك . وهنا يبالغ سوزا Sousa في الإقلال من عدد القتلى البرتغاليين حيث يذكر بأنهم قد بلغوا عشرة رجال فقط ، وهذا عدد ضئيل بالنسبة لضخامة المعركة ، وضخامة عدد المدافعين عن المدينة الذين وصل عددهم كما ذكر سوزا نفسه ثلاثة وثلاثين ألف رجل . ولو أن كل فرد من المسلحين قد دافع عن نفسه فقط ، لقتلوا أضعاف هذا العدد الذي ذكره سوزا .

ويصف سوزا - بنوع من التباهي - وحشية البرتغاليين بعد انتهاء المعركة ، فيذكر كيف أن الجنود البرتغاليين كانوا يصطادون جثث المسلمين التي طفت على سطح الماء ، لنهب حليهم الذهبية التي يرتدونها [١] .

وهكذا انتهت المعركة بقبول الشيخ عطار والملك سيف الدين شروط الاستسلام ، وهي دفع ضريبة سنوية وقدرها

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 129 - 132.

خمسة عشر ألف دينار أشرفي ذهب سنويا ، والخضوع للملك البرتغال ، وبناء قلعة على الجزيرة [١] .

وهزت أنباء سقوط هرمز في أيدي البرتغاليين العالم الإسلامي وأشار الى ذلك كثير من مؤرخي المسلمين [٢] ، وعلى سبيل المثال ، يذكر ابن المطهر في حوادث سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م ما نصه : « وفي هذه السنة غلبت الفرنج على مدينة هرمز وأخذوها وأفنوا من فيها من المسلمين والتجار والمسافرين [٣] .

وبعد استسلام جزيرة هرمز ، ثار القادة البرتغاليون على البوكيرك وقرروا الرحيل الى الهند ، كما هربت سفينتان من سفنه ، وتخلى عنه كثير من الرجال ، فقرر الرحيل الى سوقطرة ، وسمح لجوادي نوفا Joao de Nova بالذهاب الى الهند [٤] .

وفي سوقطرة عمل البوكيرك على تقوية حامية الجزيرة ، وزود أسطوله بسفينتين قادمتين من البرتغال ، ورحل عائدا الى هرمز مرة اخرى . وفي الطريق مرّ على قلهات ودمرها [٥] ،

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 131 - 132;
قدري قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥.

(٢) انظر على سبيل المثال ابن الديبع ، قرة العيون ، ٢١١ ؛ العيدروسي ، النور السافر ، ص ٦٢ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ص ٦٠.

(٣) ابن المطهر ، روح الروح ، ورقة ٧.

(٤) Sousa, op. cit. Vol. (1). P. 134; Milles, op. cit. 151, Macgregor, op. cit. P. 597.

(٥) جاء ذكر ذلك سابقا .

ووقع في أسره بعض الأشخاص الذين زودوه بمعلومات عن أحوال هرمز. ووصل البوكيرك الى هرمز في سنة ٩١٤ هـ (سبتمبر ١٥٠٨ م) وعرض على الشيخ عطار والملك سيف الدين نفس الشروط السابقة، للتأكد من خضوعهم، فأجابوه بأنهم على استعداد لدفع الجزية، ولكنهم لا يوافقون على اقامة القلعة (١). لذلك حاصر البوكيرك الجزيرة مرة اخرى، وهنا جاءته الأوامر من دى الميدا نائب الملك في الهند، تأمره برفع الحصار، فقبل البوكيرك على مضض تلك الأوامر وتوجه الى الهند (٢).

ثم تولى البوكيرك منصب نائب الملك في الهند في عام **٩١٥** هجرية (نوفمبر سنة **١٠٥٩م**) خلفا لألميدا وانشغل عن هرمز والخليج مدة سبع سنوات، قضاها البوكيرك في توطيد نفوذ البرتغاليين في الهند والشرق الأقصى (٣)

وفي سنة **٩١٩ هـ/ ١٥١٣** م عاود البوكيرك حملاته الى البحر الأحمر حيث هاجم عدن (٤)، ولكنه فشل مرة أخرى نظرا لقوة المقاومة الاسلامية هناك. فاتجه مرة أخرى الى الخليج

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P. 141.

(٢) صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ١٦ — ١٧.

(٣) لوريمر، نفس المرجع، ص ١٣.

(٤) جاء ذكر ذلك سابقا.

عام ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م ، ومرّ في طريقه على رأس الحد وقرياط ومسقط حيث تزود بالمؤن . واتجه البوكيرك بعد ذلك الى هرمز وحاصرها وقتل حاكمها ، فاستسلمت له . وعين ابن أخيه بدرو دى البوكيرك Pedro de Albuquerque قائدا لقلعة هرمز ، ووضع تحت اصرفه حامية قوية وتوجه البوكيرك ثانية الى الهند ، وقبل وصوله الى غوا على الساحل الغربي للهند عاجلته المنية [١] .

وهكذا مات البوكيرك تاركا وراءه تاريخا حافلا بالوحشية والدمار ، والدماء والحقد تجاه الاسلام والمسلمين ، حيث أمر بهدم المساجد التي وقعت تحت يده ، أثناء هجومه على المدن . والباحث يلمس الروح الصليبية المتعصبة في كل خطوة خطاها البوكيرك على أرض الخليج العربي فقد كتب الى ملك البرتغال يقول له إنه حيثما أمكنه العثور على عربي ، كان افلاته من يده من المحال ، وانه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار [٢] .

ولم تسلم البحرين من غزو البرتغاليين ، فقد التفتت اليها أنظارهم لثرائها الرائع من تجارة اللؤلؤ ، وكانت البحرين خاضعة لنفوذ هرمز ، ويحكمها عربان بنى جبر منذ النصف الأخير من القرن التاسع الهجري [٣] .

---

(١) Milles, op. cit. P. 154 - 155;

لوريمر، نفس المرجع، ص ١٤.

(٢) بانيكار، نفس المرجع، ص ٤٦.

(٣) جاء ذكر ذلك فيما سبق .

زار البرتغاليون البحرين لأول مرة سنة ٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م ، فقد حاصر بدرو البوكيرك المنامة بناء على أوامر عمه ، وأخضعها لملك البرتغال سلما ، ثم عاد الى هرمز [١] . وبعد سبع سنوات ، أي في سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢٧ م عاد البرتغاليون مرة ثانية الى البحرين ، أثناء فترة حكم نائب الملك في الهند « دييجودا سكويرا » Diego de Sequeira وجاء البرتغاليون اليها في قوة بحرية مكونة من سبع سفن ، عليها أربعمائة محارب ومائتي مركب بقيادة انطونيو دي كوريا [٢] Antonio de Correa حاصر دي كوريا المنامة عاصمة البحرين واستولى عليها بعد أن قصفها ودمر جزءا كبيرا منها .

ويذكر ابن اياس في حوادث سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢١ م : أن الأمير مقرن بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري ، أمير البحرين ، كان في تلك السنة يؤدى فريضة الحج . فلما رجع الى بلاده وقعت الحرب بينه وبين الافرنج فهزموه وأسروه . وحاول أمير البحرين أن يفك أسره ، بدفع مبالغ طائلة لهم ، ولكنهم أبوا عليه ذلك وقتلوه وهو في الأسر واستولوا على أمواله وبلاده [٣] .

وبنى البرتغاليون قلعتهم في المنامة ، وفرضوا ضريبة كبيرة

---

(١) Milles, op. cit. P.0N 153 - 154.

(٢) سيد نوفل، الاوضاع السياسية، جـ ١، ص ٤٣.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٥، ص ٤٣١.

على الاهالي ، وأطلق على القائد دى كوريا لقب « بطل البحرين » [١] . وذكر محمد بن خليفة النبهان أن قلعتهم لا تزال قائمة وتسمى . قلعة عجاج [٢] .

وكانت الأحساء والقطيف ، تتبعان البحرين في الحكم ويملكهما بنوجبر . فلما استولى البرتغاليون على البحرين وقضوا على أمير البحرين أصاب الضعف بني جبر في القطيف والأحساء ، لذلك استعانوا بأمير البصرة الشيخ راشد بن مغاس بن صقر بن محمد بن فضل لحمايتهم من التدخل البرتغالي في القطيف . فلما رأى الشيخ راشد ما هم فيه من التفكك واضطراب الأحوال الداخلية جاء الى القطيف واستولى عليها وأقام بها ، وولى على البصرة أخاه محمداً [٣] . ورغم هذا ظلت تبعية القطيف لحاكم هرمز قائمة ، وتدفع له الضريبة السنوية [٤] ، وأصبح للبرتغاليين الحق تلقائيا في استعمال قلعة المدينة . وفي سنة **٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م** ، أخضع الأتراك العثمانيون البصرة وجعلوها متسلمية عثمانية ، يحكمها والٍ عثماني وطردوا حاكمها الشيخ راشد [٥]

---

(١) سيد نوفل ، نفس المرجع ، ص ٤٣ ؛ صلاح العقاد ، نفس المرجع ، ص ١٨ — ١٩

(٢) محمد بن خليفة النبهان ، التحفة النبهانية ، جـ ١ ، ص ٦٠ — ٦١ .

(٣) الاحسائي ، نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٢١ .

(٤) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ — ١٧ .

(٥) لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٣٣ — ٣٤ ؛
Inalcik, The Ottoman Empire. P. 38.

وبعد عدة سنوات ، وبالتحديد في عام ٨٥٧ هـ / ١٥٥٠ م ، أعلن أهالي القطيف تبعيتهم للدولة العثمانية ، لحمايتهم من البرتغاليين وسلموا قلعة المدينة للعثمانيين [١] . وفعلا دخل العثمانيون القطيف وفرضوا حمايتهم عليها .

وهنا استنجد حاكم هرمز الفارسي بالبرتغاليين ، كما استنجد حاكم البصرة السابق في نفس السنة بالبرتغاليين أيضا أملا في استرداد ملكه من العثمانيين . وارسل نائب الملك في الهند « الفونسو دي نورونها » Alfonso de Noronha (١٥٥٠ - ١٥٥٣) ابن أخيه أنطونيو دى نورونها Antonio de Noronha في حملة مكونة من تسع عشرة سفينة عليها ألف ومائتا رجل توجهت الى القطيف[٢] .

وفي هرمز تجمع جنود شيخ هرمز وأمير البصرة راشد بن مغامس مع جنود نورونها ونزلوا أمام قلعة القطيف وقصفوها ودمروا قلعتها وتحصيناتها . ورغم استبسال الأتراك في تلك المعركة ، الا أن الهزيمة حاقت بهم وعادت القطيف ترزح تحت نير السيطرة البرتغالية [٣] .

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 152.
لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٤٣.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 152;
لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٦ — ١٧.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 152;
لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٧.

ولم تستمر سيطرة البرتغاليين على القطيف طويلا ، حيث عاد الاتراك العثمانيون الى القطيف مرة أخرى [(١)] .

وأما البصرة ، فقد جاءت اليها أول حملة برتغالية سنة ٩٣٥ هـ / ١٥٢٩ م [(٢)] ، عندما استعان أمير البصرة راشد بن مغامس بالبرتغاليين ضد خصمه أمير الحويزة [(٣)] . فبعث دي كونها De Kunha نائب الملك في الهند الى راشد بن مغامس حملة بقيادة « ملشيور تافرزدى سوزا » ، ولكن دبّ الخلاف بين القائد البرتغالي وأمير البصرة ، مما جعل القائد البرتغالي يدمر بعض القرى التابعة للبصرة ، وعاد أدراجه الى هرمز [(٤)] .

فتح العثمانيون بعد ذلك العراق سنة ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م وأعلن حاكم البصرة العربي راشد بن مغامس ولاءه للعثمانيين عام ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م [(٥)] .

وفي عام ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م ، استولى العثمانيون على البصرة

---

(١) سيأتى ذكر ذلك فيما بعد .

(٢) لوريمر، نفس المرجع ، ص ١٦ ؛ لونكريك، نفس المرجع ، ص ٤٣.

(٣) **الحويزة** : موضع شرقي دجلة بين واسط والبصرة وخوزستان. انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ٢ ، ص ٣٢٦؛ انظر أيضا دائرة المعارف الاسلامية، مادة **الحويزة**.

(٤) لوريمر، نفس المرجع ، ص ١٦ ؛ عبدالعزيز نوّار، تاريخ العرب الحديث، ص ٧٠ — ٧١.

(٥) الشيلي، السنا الباهر، ورقة ٤٠٣ ؛ ابو السرور البكري، المنح الرحمانية، ورقة ٢٦ ؛ محمد فريد، الدولة العلية، ص ٩٠؛

Inalcik, op. cit. P. 38.

بقيادة اياس باشا . فطرد راشد بن مغامس بسبب تمرده المستمر ضد الدولة العثمانية . واستنجد ابن مغامس بالبرتغاليين مرة أخرى ، وفعلا جاء الى البصرة القائد البرتغالي انطونيو دي نورونها بعد تدمير القطيف في ٩٥٧ هـ/١٥٥٠ م ، ولكنه خشي من غدر أمير البصرة السابق ، فعاد الى هرمز دون أن يقدم معونة حقيقية لابن مغامس[(١)] .

وفي عام ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦ م ، قام البرتغاليون بحملة ثالثة على البصرة ، ولكنها لم تحقق شيئا ، حيث اجتاحت الأسطول عاصفة عاتية ، فرّقت كثيرا من قطعه في الخليج العربي [(٢)] .

وهكذا وقعت تلك المراكز الهامة في الخليج العربي تحت نير السيطرة البرتغالية مدة قرن من الزمان ، عانى خلالها سكان الخليج مرارة الحروب الشرسة والتدمير المستمر .

وأدرك البرتغاليون ـ أثناء غزوهم لمراكز التجارة في الخليج العربي ـ أن سيطرتهم على تجارة الهند المارة بالخليج العربي والبحر الأحمر ، لا تصبح تامة الا بالسيطرة على موانىء جنوب شبه

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 152;
لوريمر، نفس المرجع ، ص ١٧ ؛ لونكريك ، نفس المرجع ، ص ٣٣ — ٣٤.

(٢) لوريمر، نفس المرجع ، ص ١٨.

الجزيرة العربية ، ومن أهمها الشحر المتحكمة في الطريق البحري بين الخليج العربي والبحر الأحمر .

وكانت الشحر تخضع للسلاطين الكثيريين منذ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، ومؤسس السلطنة الكُثيرية ، هو على بن عمر بن جعفر الكُثيرى (١) .

تعرضت الشحر لهجات القراصنة البرتغاليين منذ قدومهم الى الشرق . وعانى السلاطين الكُثيريون كثيرا من نهب المراكب في ميناء الشحر (٢) . وكان أول هجوم منظم على الشحر قام به البرتغاليون سنة **٩٢٩** هـ / **١٥٢٢** م ، عندما جاءوا اليها في أربع عشرة سفينة (٣) .

وذكر العيدروسي أن البرتغاليين دخلوا المدينة عنوة ، فتصدى لهم الأهالي ، ودارت معارك عنيفة في شوارع المدينة ، وقتل كثير من أعيان وفقهاء الشحر الذين تصدوا لهم (٤) . واستمر القتال ثلاثة أيام لم يترك البرتغاليون شيئا الا ونهبوه . وأسروا كثيرا من الأهالي ، الا أنهم هزموا بعد ذلك هزيمة نكراء فهربوا الى سفنهم وتوجهوا الى الهند (٥) .

---

(١) Serjeant, op. cit. P. 25;
باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١١٩.

(٢) Serjeant, op. cit. P. 27.

(٣) باوزير، نفس المرجع، ص ١٢٤ — ١٢٥.

(٤) العيدروسي، النور السافر، ص ١٣٦.

(٥) باوزير، نفس المرجع، ص ١٢٤ — ١٢٥.

وعاود البرتغاليون عمليات القرصنة أمام الشحر وفي البحر العربي . ففي سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨ م أبحر الأميرال انطونيو دا أميراندا Antonio da Amiranda ، من غوا في عشرين سفينة قاصدا البحر العربي لاعتراض السفن المتوجهة الى البحر الأحمر ، ولكنه لم يغامر بمهاجمة الشحر لوجود سفن حربية عثمانية بقربها . وقام بنفس المهمة مانويل دا فاس كونسيللو Manoel da ves Concello سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢ م (١) .

وفي سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥ م ، قام البرتغاليون بحملة أخرى أكبر من الأولى للاستيلاء على الشحر . وكان سلطان الشحر وقتذاك بدر من عبدالله الكثيري ، قد أستعد لهم هذه المرة . ووقعت معركة هائلة في الميناء بين قوات السلطان بدر والبرتغاليين استطاع خلالها أن يأسر كثيرا من سفن البرتغاليين ، واستسلم معظمهم للسلطان .

وبعد انتهاء المعركة ، أرسل السلطان بدر خمسة وثلاثين أسيرا برتغاليا الى السلطان العثماني سليمان القانوني طمعا في رضا السلطان والاستعامة به فيما بعد لطلب الحماية من الدولة العثمانية ضد البرتغاليين (٢) .

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 164 - 167.

(٢) الشيلي، السنا الباهر، ورقة ٤٠٤ — ٤٠٥ ؛ العيدروسي، النور السافر، ص ٢٠٨ ؛ باوزير، نفس المرجع ، ص ١٢٥.

وبدأ السلطان بدر بن عبدالله الكثيري في مكاتبة السلطان سليمان القانوني طالبا منه الحماية من الغارات البرتغالية [1] . وكان العثمانيون بدورهم يحاولون فرض سيطرتهم على جنوب شبه الجزيرة العربية ، للحد من نفوذ البرتغاليين على الملاحة في المحيط الهندي . وأرسل السلطان العثماني سليمان القانوني في سنة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، حملة الى الهند بقيادة سليمان باشا الخادم لقتال البرتغاليين . ومرت الحملة العثمانية على اليمن واستولت عليها بعد أن قضت على بقايا الدولة الطاهرية [2] . وبعد فشل حملة سليمان باشا في الهند ، وأثناء عودته الى عدن مرّ في طريقه على الشحر ، وهناك أعلن السلطان بدر خضوعه للعثمانيين [3] ووافق السلطان الكثيري على أداء مبلغ من المال سنويا (فريضة) للدولة العثمانية ، ومقدارها عشرة آلاف دينار أشرفي [4] . وبذلك دخلت الشحر ضمن أملاك الدولة العثمانية وكسب سلاطين الشحر حماية أقوى دولة إسلامية في ذلك الوقت ، ونجحت بذلك من الخضوع للبرتغاليين .

---

(١) باوزير، نفس المرجع ، ص ١٢٦.

(٢) سيأتي ذكر ذلك فيما بعد .

(٣) اسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار، جـ ١ ، ص ٥٤٨؛ باوزير، نفس المرجع ، ص ١٢٧ — ١٢٨.

(٤) Serjeant, op. cit. P. 29;

باوزير، نفس المرجع ، ص ١٢٨.

(٢) تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي

أما عن قيام البرتغاليين بتنفيذ سياسة تدمير القوى البحرية العربية في الخليج العربي ، فبعد أن احتل البرتغاليـون مراكـز التجارة في الخليج ، تغيّرت الصورة القديمة للملاحة فيه من الأحسن الى الأسوأ . كان هدف البرتغاليين جعل الخليج العربي مخزنا للتجارة البرتغالية فقط ، دون أن تكون له أسواق ومحطات تجارية هامة تعيد شحن البضائع الى شط العرب [١] .

واتبع البرتغاليون سياسة منع العرب من المتاجرة مع الهند والشرق الأقصى بكل الوسائل ، بما في ذلك مهاجمة السفن في الخليج ، وتدمير السفن الراسية في موانىء الخليج العربي .

وقام البوكيرك بتنفيذ هذه السياسة ، منذ دخوله الخليج لأول مرة سنة ٩١٣ هـ/ ١٥٠٧ م . ففي طريقه الى قلهات بعد أن أقلع من جزيرة سوقطرة ، دمّر البوكيرك كل مركب خليجي التقى به في طريقه [٢] . وأثناء محاصرته لمراكز التجارة في الخليج العربي وبعد تدميرها أحرق البوكيرك السفن الراسية في الموانىء

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 142 - 143.

(٢) لوريمر، نفس المرجع، ص ١٢ — ١٣، Milles, op. cit. P. 143.

الاسلامية ، فمثلا عندما دمر البوكيرك قرياط ، أحرق ثمان وثلاثين سفينة كانت في الميناء ، وعندما هاجم مسقط أحرق أربعاً وثلاثين سفينة كانت راسية في مينائها ، وبعد مهاجمة هرمز أمر البوكيرك بحرق وسائل النقل البحري في الخليج العربي [١] وذكر سوزا Sousa بأن البوكيرك أحرق أكثر من ثلاثين سفينة كانت في ميناء هرمز[٢]

وأحكم البرتغاليون السيطرة على السفن التجارية في الخليج ، بواسطة الحصون التي أنشأوها في كل مركز تجاري استولوا عليه ، ووضعوا فيها حاميات عسكرية للإشراف على الطريق البحري ، كما منعوا أية سفينة عربية في الخليج من ممارسة التجارة دون اذن رسمي بالملاحة من البرتغاليين [٣]

ومما ساعد على سرعة تدمير البرتغاليين للقوى البحرية العربية في الخليج العربي ، سياسة القرصنة البحرية التي مارسها البرتغاليون في الخليج . وهناك أمثلة تاريخية كثيرة تؤيد هذا القول ، فعلى مقربة من قلهات استولى البوكيرك على سفينة عدنية حمولتها مئتا طن [٤] . وذكر سوزا أن دييجو دي ميللو

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 144 - 153.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (1). P.P. 130 - 131.

(٣) قدري قلعجي ، نفس المرجع ، ص ٣٦٥ ؛ عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث، ص ٦٩ — ٧٠.

(٤) Milles, op. cit. P. 144.

Diego de Mello أحد القادة البرتغاليين الذين حاصروا هرمز ، استولى في حادث قرصنة على سفينة محملة باللؤلؤ ، من البحرين ، وكذلك استولى فرانسيس دي تافورا Francis de Tavora - الذي رافقه في الرحلة - على سفينة تابعة لبعض تجار مكة [١] .

وفي عام ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م ، استولى القائد البرتغالي مانويل دافاسكو نسيللو Manoel da Vasconcello ، قرب صحار على سفينة تجارية محملة بالنفائس مع غيرها من السفن الأخرى . وفي نفس السنة توجه قادة آخرون هم انطونيو دا سالدانها : Antonio da Saldanha وجون رودريجو بارس John Rodrigues Pars وفاسكو سامبا Vasco Sumpayo وانطونيو فرناديز Antonio Fernandez الى الخليج العربي والبحر العربي للبحث عن السفن العربية للاستيلاء عليها بعد أن تبين لهم أن القرصنة أسهل طريق الى الثراء [٢] . ويدل هذا على أن القرصنة البرتغالية لم تكن مجرد عمليات محدودة يقوم بها لصوص البحر ، بل كان يمارسها كبار القادة البرتغاليين .

وهكذا انتهك البرتغاليون أبسط حقوق الانسان ، وهي الحرية في العمل من أجل العيش ، فالبحر هو مورد الرزق الأكبر بالنسبة لمعظم سكان الخليج العربي في ذلك الوقت ،

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P. 141.

(٢) Milles, op. cit. P.P. 166 - 167.

يضاف الى ذلك أن السيطرة البرتغالية على الخليج العربي ، أضاعت ازدهاره السابق ، مما يؤكد أن الاستعمار البرتغالي كان داعية هدم وانهيار تدفعه الى ذلك الروح الحاقدة ضد الاسلام والمسلمين ، والشره البشع لالتهام ثرواتهم .

• • •

(٣) موقف أبناء الخليج العربي والعثمانيين والصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي

أما بالنسبة لمقاومة أبناء الخليج العربي للنفوذ البرتغالي ، يجدر بنا أن نتتبع من البداية مراحل هذه المقاومة . فرغم خضوع أهالي الخليج للسيطرة البرتغالية من حيث المظهر ، الا أنهم لم يستكينوا مدة طويلة لما حل بهم من دمار وضياع لثرواتهم وحريتهم . فقد قاوموا السيطرة البرتغالية بشتى الوسائل ، حتى انتهوا أخيرا الى إنهاك قوتهم ، واستعادة كثير من المواقع على ساحل الخليج في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي .

وأول مقاومة عنيفة للغزو البرتغالي قام بها أهالي الخليج العربي سنة ٩٢٨ هـ/ ١٥٢١ م ، بعد سبع سنين من احتلال هرمز مفتاح الخليج العربي . فقد انتفض الخليج انتفاضة عامة ، اجتاحت مراكز التجارة في الخليج العربي من قلهات وحتى

البحرين . وكانت هذه الحركة بزعامة شيخ هرمز شاه بندر الذي كان يخضع وقتذاك للبرتغاليين .

ورغم ارجاع بعض الباحثين [1] سبب هذه الانتفاضة الى السيطرة البرتغالية على الموارد التجارية ، وتعسفهم في جمع الأموال ، الا أن تتبع سيرة البرتغاليين في الشرق عامة وفي الخليج خاصة ، تبين لنا أن هناك أسبابا عديدة لمحاولة أهالي الخليج العربي خلع نير البرتغاليين . وأهم هذه الأسباب روح القسوة والظلم التي نشرها البرتغاليون في الخليج العربي ، وعدم احترامهم لحرية وعقيدة أهالي الخليج الاسلامية ، وتحطيمهم لتجارة الخليج العربي ، وحالة الفوضى التي عمت الخليج ، بعد ممارستهم لعمليات القرصنة ، وعدم استماعهم الى شكاوى الأهالي والحكام ، كل ذلك كان سببا للسخط الدائم ضد البرتغاليين .

ابتدأت المقاومة ضد البرتغاليين بعد أن أرسلت المعلومات من هرمز الى جميع المراكز الأخرى على الساحل الغربي ، وحددت يوم ٣٠ نوفمبر ١٥٢١ م (٩٢٨ هـ) . وفي الموعد المحدد قام شيخ هرمز شاه بندر بالخطوة الأولى ، فأمر بحرق المراكب البرتغالية في الميناء ، وتم قتل الحامية البرتغالية القائمة في

---

(١) Milles, op. cit. P. 158;
لوريمر، نفس المرجع، ص ١٤ — ١٥. صلاح العقاد. نفس المرجع. ص ١٩.

الجزيرة ليلاً [١] . وقامت بقية المراكز التجارية العربية في الخليج بتنفيذ المهمة المتفق عليها فهاجموا البرتغاليين ، وأسروا كثيرين منهم ، ما عدا حاكم مسقط الشيخ راشد ، الذي كان على خلاف مع شيخ هرمز ، فأعلن خضوعه للبرتغاليين ولم ينفذ المهمة . وأعطى هذا الفرصة للبرتغاليين لطلب النجدة من الهند والمقاومة لعدة شهور حتى تصل اليهم المساعدة [٢] .

ووصلت النجدة الأولى بقيادة دوم جونزالو Dom Gonzalo الذي عزز علاقات البرتغاليين مع حاكم مسقط . وحاول استعادة الأسرى من بعض موانىء الخليج العربي [٣] .

وفي سنة **٩٢٩هـ/ ١٥٢٢** م ، وصلت النجدة الثانية للبرتغاليين بقيادة دوم لويزدى منزيس Dom Luiz de Menezes والذي توقف عند « طيوى » وهاجمها وأوقع بحاكمها الهزيمة . ثم سار الى مسقط وهاجمها ، بعد أن هرب الشيخ راشد وتركها للحاكم الفارسي دلامير شاه . وبعد أن أخضع القائد البرتغالي مسقط بمعاونة الشيخ راشد ، توجه الى صحار ودمرها ، ثم اتجه الى هرمز وقضى على مسببي الانتفاضة وأعاد حكم البرتغاليين الى

---

(١) Milles, op. cit. P. 158;
لوريمر، نفس المرجع، ص ١٤ — ١٥، صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ١٩.

(٢) صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ١٩؛
Milles, op. cit. P.P. 158 - 159.

(٣) Milles, op. cit. P.P. 159 - 160.

الجزيرة ، فوضعوها تحت اشرافهم وحكمهم المباشر سنة ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣ م [١] .

وفي سنة ٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦ م قامت انتفاضة جديدة من جانب شيخ هرمز وأهالي عمان في مسقط وقلهات ، ووصلت أنباؤها الى الهند ، فأبحر لوبوفاز Lopo Vas مع خمس سفن في سنة ٩٣٤ هـ (مايو ١٥٢٧ م) لقمع هذه الانتفاضة ، فرسا أول الأمر في قلهات حيث عقد صلحا مع أهالي المدينة ووعدهم بإزالة المظالم عنهم . وواصل سيره بعد ذلك الى مسقط ، حيث اتبع نفس السياسة ثم اتجه الى هرمز فخضعت له من جديد [٢] .

ورغم حركات القمع الشديدة التي مارسها البرتغاليون ضد أبناء الخليج ، الا أنهم لم ييأسوا ولم يركنوا الى الاستسلام والضعف ففي سنة ٩٣٦ هـ/ ١٥٢٩ م قام أهالي البحرين بانتفاضة ضد السيطرة البرتغالية . وكان في هرمز آنذاك دوم نونو دي كونها [٣] Dom Nuno de Cunha الذي عين نائبا للملك في الهند ، جاء اليها وهو في طريقه الى الهند ، سنة ٩٣٥ هـ/ ١٥٢٨ م وأثناء وجوده في هرمز اندلع القتال في البحرين ضد

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 160 - 161;
لوريمر، نفس المرجع، ص ١٤ — ١٥.

(٢) لوريمر، نفس المرجع، ص ١٥، Milles, op. cit. P. 163.

(٣) Milles, op. cit. P. 164.

البرتغاليين . وحاول دى كونها قمع هذه الحركة ، ولكنه فشل ذريعا ، وقتل في المعركة أخوه سيمون دى كونها Simon de Cunha ، فعاد أدراجه الى هرمز ومنها الى الهند [١] .

ولم يكتف أهالي الخليج العربي بهذه الحركات الجهادية ضد البرتغاليين ، بل عملوا على قطع الامدادات عن هرمز ، أكبر معاقلهم في الخليج العربي . في سنة ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٥ م حاول البرتغاليون شن حملة بحرية على نخيلوه التي تقع على ساحل الخليج العربي ، بعد أن عانوا المتاعب الكبيرة بسبب منع سكان نخيلوه وصول المؤن الى هرمز [٢] . وكانت الحملة البرتغالية بقيادة بيتر بيريرا Peter Pereyra ، الذي رافقه كثير من النبلاء وحوالي ستمائة رجل ، ولكنهم قبل أن يصلوا الى الساحل ظهر أهالي نخيلوه على حين غرة ، وأوقعوا بالبرتغاليين الهزيمة ، وقتلوا منهم أكثر من مائتين وخمسين رجلا ، عدا من غرق منهم [٣] .

وهكذا فشلت الحملة البرتغالية وانتصر أهالي نخيلوه . وتطلع أهالي الخليج الى قوة اسلامية كبرى تقف الى جانبهم ضد البرتغاليين ألا وهى الدولة العثمانية التي انتصرت على الصفويين وقتذاك ، ودخلت الى العراق ووصلت الى الخليج عبر البصرة .

---

(١) سيد نوفل، نفس المرجع، ص ٤٣؛ Milles, op. cit. P. 166.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (3). P. 30; لوريمر، نفس المرجع، ص ١٨ — ١٩.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (3). P. 30.

وقد نتساءل لماذا لم يلجأ سكان الخليج العربي الى الصفويين رغم أنهم حكام دولة إسلامية مجاورة للخليج ؟

الحقيقة أن سكان الخليج العربي نظروا الى الدولة العثمانية على أنها حامية الحرمين الشريفين ، وهي الملجأ وقتذاك للعالم الاسلامي في الملمات . يضاف الى ذلك أن الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، كانت دولة عظمى ، ودولة بحرية أيضا لها أساطيلها في البحر المتوسط ، وتستطيع انزال أسطول بحري في الخليج العربي ، عن طريق السويس ، يواجه الأسطول البرتغالي . هذا بالاضافة الى تفوق العثمانيين على الصفويين من ناحية التسليح الحربي .

ووافق العثمانيون على التدخل لإعانة إخوانهم في الاسلام ، ولأن مصالحهم في الخليج العربي واضحة ومشتركة ، خاصة مواجهة عدوين لهم ، هما البرتغاليون والصفويون .

ولا نستطيع القول بأن استنجاد العرب في الخليج بالعثمانيين سنة ٨٥٧ هـ/ ١٥٥٠ م هو فاتحة تدخلهم فيه ، حيث أن استيلاءهم على البصرة في سنة ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م ، كان يعتبر فاتحة تواجدهم الفعلي في هذه المنطقة [١] .

وبعد خروج العثمانيين من القطيف سنة ٩٥٧ هـ/

---

(١) انظر ما سبق

١٥٥٠ م ، بعث السلطان سليمان القانوني ، بحملات منظمة من السويس الى الخليج العربي لمواجهة الخطر البرتغالي . وسار على نهجه بقية السلاطين من بنى عثمان حتى ١٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م .

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها بعض الباحثين [١] الى قادة تلك الحملات العثمانية لعدم تحقيقهم انتصارات حاسمة ضد النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، الا أن هذه الحملات أضعفت ولا شك ذلك النفوذ ، وشتتت قوى البرتغاليين ، وكانت أحد أسباب انهيار القوة البرتغالية في الخليج العربي مع بداية القرن الحادى عشر الهجري / السابع عشر الميلادي .

ومن الحملات العثمانية ضد البرتغاليين ، تلك الحملة التي أرسلها السلطان العثماني سليمان القانوني بقيادة القبطان بيرى محيي الدين رئيس [٢] وهو ملاح وجغرافي بارع - وقد سار بيرى رئيس بحملته متجها الى الخليج العربي سنة ٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م مع ستة عشر ألف محارب وثلاثين سفينة [٣] . وفي طريقه مرّ على عدن واستردها مرة أخرى ، سار بعد ذلك الى الشحر ،

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 170 - 175;

سيد نوفل، نفس المرجع، ص ٤٣٤؛ لوريمر، نفس المرجع، ص ١٧؛ دائرة المعارف الاسلامية مادة بيرى رئيس.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية، مادة بيرى رئيس.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 163,

Milles, op. cit. P. 168. اسماعيل سرهنك، نفس المرجع، ص ٥٤٩.

وهناك فقد عدة سفن له نتيجة عاصفة قوية ورسا أخيرا أمام مسقط [١]

وكان الحاكم البرتغالي آنذاك في هرمز ، هو الفارو دي نورونها Alvaro de Noronha الذي وصلته أنباء الحملة العثمانية فأرسل سفنه للتجسس في الخليج والبحر العربي . ولما تأكد له الخبر ، بعث الى غوا طالبا النجدة [٢] .

وحاصر بيرى رئيس مسقط لمدة شهر تقريبا [٣] ، وقصفها بمدافعه حتى أجبر حاكمها البرتغالي جون .دى لسبوا John de Lisboa على الاستسلام هو والحامية . ثم اتجه بيرى رئيس بعد ذلك الى هرمز واستولى عليها ما عدا القلعة التي تحصن فيها القائد البرتغالي والتي لم تؤثر فيها المدافع العثمانية . ثم سار بيرى رئيس الى قشم ، نظرا لتحصن كثير من البرتغاليين بها ، واستولى عليها وغنم منها غنائم كثيرة [٤] .

بعد ذلك اتجه أمير البحر بيرى رئيس الى البصرة ، بعد أن أصابت سفنه الكثير من الأضرار [٥] . وعندما بلغته أنباء وصول

---

(١) Milles op. cit. P.P. 168 - 169.

دائرة المعارف الاسلامية، مادة بيرى رئيس.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 163; Milles, op. cit. P.P. 168 - 169.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 164.

(٤) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 164.

(٥) اسماعيل سرهنك، نفس المرجع ، ص ٥٤٩.

النجدة البرتغالية من غوا ، ترك معظم سفنه في البصرة ، وعاد بثلاث سفن متجها الى البحر الأحمر ، ولكنه فقد احداها عند جزيرة البحرين ثم وصل الى مصر بسفينتين فقط . وهناك جاء الأمر من استانبول بإعدامه نظير فشله في مهمته .

لقد اتهم المستشرقون أمير البحر بيرى رئيس بكثير من التهم ، منها ما يذكره ميلز[1] Milles ، بأنه بعد استسلام مسقط ، قام بقتل الأسرى حتى الجرحى والمرضى منهم ، ثم ربط الباقين بالسلاسل الى السفن ، وأن غرضه الأساسي من الحملة هو جمع الثروة . واتهمه البعض بأنه تلقى الرشوة نظير رفع حصاره عن هرمز[2] .

ولا شك أن هذه الاتهامات تحتوى على كثير من المبالغة وتدل على روح الحقد ضد المسلمين . ويكفي أن المؤرخ البرتغالي سوزا Sousa الذي يمتلىء كتابه بروح التحامل على الاسلام والمسلمين ، لم يذكر أي اتهام من هذه الاتهامات ، بل إنه قال في قضية الأسرى بأن بيرى رئيس قد أجبر القائد البرتغالي المأسور وستين رجلا معه على العمل كبحارة ، وانه قد تمت فدية بعضهم فيما بعد ، ولم يذكر انه قد قتل أياً منهم[3] .

---

(١) Milles, op. cit. P.P. 169 - 170.

(٢) سيديو، نفس المرجع، ص ٤٣٤؛ انظر أيضا دائرة المعارف الإسلامية، مادة بيرى رئيس.

(٣) Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 164.

ولم توقف الدولة العثمانية حملاتها ضد البرتغاليين ، ففي سنة ٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢ م جهزت حملة اخرى بقيادة مراد بك ، الذي كان قد واجه البرتغاليين مرة في القطيف سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠ م . وكانت الأوامر الصادرة الى مراد بك ، تأمره بتجهيز السفن في ميناء البصرة والخروج للقاء البرتغاليين في الخليج العربي . فخرج في سبع عشرة سفينة ، وعند رأس مسندم ، وقعت معركة بحرية بينه وبين القائد البرتغالي دييجو دي نورونها Diego de Noronha ، فهزم فيها وقتل عدد من قادة اسطوله ، مما اضطر مراد بك الى الرجوع الى البصرة [١] .

وفي سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣ م بعث السلطان سليمان القانوني قائدا أكثر مهارة وخبرة في البحار ، يدعى سيد على ريس حسين . وهو عالم فلكي شهير له مؤلفات في علوم البحار ، أشهرها كتاب سماه المحيط [٢] .

خرج سيد علي رئيس من استانبول الى حلب ، فالموصل ، وبغداد فالبصرة . وهناك باشر في اصلاح السفن ، وبنى سفنا جديدة ، وأخيرا أبحر من البصرة في عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤ م [٣] . وكان الاسطول البرتغالي ثلاثة أضعاف سفن

---

(١) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ ؛ Milles, op. cit. P. 171.

(٢) لوريمر ، نفس المرجع ، ص ١٣ ، Milles, op. cit. P. 172.
اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٤٩ — ٥٥٠ .

(٣) Cook, op. cit. P. 99; Milles, op. cit. P.P. 172 - 173

سيد علي ريس [١] بقيادة فرنانديز دي منزيس Fernandez de Menezes وانطونيو دي نورونها Antonio de Noronha [٢] ، وتقابل الاسطولان العثماني والبرتغالي مقابل خليج ليمه ، بالقرب من رأس مسندم على الساحل العماني . ووقعت معركة انتصر فيها المسلمون ، وأغرقوا كثيرا من سفن الأعداء . ثم تتبع العثمانيون أعداءهم الى مسقط ، ودارت معركة ثانية بالقرب منها ، هبت خلالها عاصفة عاتية شتتت سفن سيد على ريس وجرفت أمامها كثيرا من سفنه ، وصلت الى ميناء شابار ، في مكران على الساحل الفارسي المطل على خليج عمان [٣] .

وفي شابار تزود القائد العثماني بالمؤن ، ثم واصل سيره متجها الى اليمن ، وقرب ظفار ، هبّت عاصفة قوية غربية ، جرفتهم الى سواحل الهند ، وهناك لجأ سيد علي ريس الى ملك كجرات في الهند ، وسرّح معظم جنده ، وسار مع خمسين من أتباعه قاطعا بلاد الهند برا الى فارس ثم الى الاراضي العثمانية [٤] .

وعاود العثمانيون بعد ذلك هجومهم على المراكز البرتغالية في الخليج ، ولكن بشكل متقطع حتى سنة ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١ م .

---

(١) اسماعيل سرهنك . نفس المرجع ، ص ٥٤٩ — ٥٥٠.
Milles, op. cit. P. 173.

(٢) Cook, op. cit. P. 99; Milles, op. cit. P.P. 176 - 177.

(٣) اسماعيل سرهنك ، نفس المرجع ، ص ٥٥٠ — ٥٥٦.
Milles, op. cit. P.P. 177 - 178.

في هذه السنة وأثناء حكم السلطان مراد الثالث [١] ، أرسلت الدولة العثمانية حملة بقيادة الريس أمير علي بيك ، الذي كان تحت إمرة الوالي العثماني في اليمن . وسارت الحملة في أربع سفن الى الخليج العربي . وفي الطريق فقد الريس أمير على احدى سفنه ، وأخيرا ألقى مراسيه قرب مسقط . وبمساعدة عرب مسقط استطاع ان يحاصرها .

وجاءت النجدة الى البرتغاليين في مسقط من هرمز بقيادة لويس دي الميدا Luiz de Almeyda مع ثماني سفن . وبدلا من أن يهاجم القائد البرتغالي العثماني ، سار الى موانىء جوادر وتيس على ساحل مكران ونهبها ودمرها [٢] .

واستطاع أمير علي بيك أن ينزل بالبرتغاليين هزيمة ساحقة في مسقط . وبعدها سار إلى عدن ، ومن ثم الى شرق افريقية . وهناك هاجم المراكز البرتغالية في ممباسا ، وماليندى . وفي إحدى المعارك هناك سنة ٩٩٨ هـ/ ١٥٨٩ م وقع الريس أمير علي في أسر البرتغاليين ، فأرسلوه الى لشبونه حيث حاولوا تنصيره بالقوة ، ومات هناك نتيجة التعذيب [٣] .

---

(١) Cook, op. cit. P.P. 99 - 100.

(٢) Milles, op. cit. P. 181.

لوريمر، نفس المرجع، ص ١٨ — ١٩.

(٣) Milles, op. cit. P. 181.

هذه هي أهم الحملات العثمانية الى الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . ولعل السبب الرئيسي في عدم قدرة العثمانيين القضاء على البرتغاليين نهائيا في الخليج العربي هو بعد مراكز بناء الأساطيل العثمانية في البحر المتوسط عن المحيط الهندي والخليج العربي ، وصعوبة نقل الأخشاب لتصنيع السفن في البصرة [١] .

كما أن تفكك العالم الإسلامي وانتشار المنازعات فيه ، أعاق قيام تحالف اسلامي بين العثمانيين والصفويين ، وامبراطورية الهند المغولية الإسلامية . ولو حدث مثل هذا التحالف ، لتمكن المسلمون وقتذاك من القضاء على البرتغاليين نهائيا في المحيط الهندي [٢] .

أما عن موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي فقد كان لتطور العلاقات بين العثمانيين والصفويين أثره الكبير في موقف الصفويين من النفوذ البرتغالي في الخليج العربي .

كان اعلان الشاه اسماعيل الصفوى المذهب الشيعي مذهبا لدولته سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م ، سببا في اضطهاد أعداد كبيرة

---

(١) Cook, op. cit. P.P. 99 - 100;
صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ٢٠.

(٢) Milles, op. cit. P. 171.

من أهل السنة داخل دولته وخارجها [١] . وأتاحت عمليات الاضطهاد هذه ، تكوين آراء ضد اسماعيل الصفوى ومذهبه تنادي بأن مذهبه يهدف الى الاضرار بالمسلمين عامة [٢] .

وانتشرت هذه الآراء بعد أن أخذ الشاه اسماعيل في توسيع حدود دولته غربا ، فاستولى على العراق ، ومد نفوذه الى شمال الشام والأناضول . كما عمل الشاه اسماعيل على نشر مبادئ مذهبه داخل اراضي الدولة العثمانية ، مما جعل الدولة العثمانية السنّية تعتبر هذا عدواناً سياسياً سافراً ضدها [٣] . يضاف الى ذلك أن استنجاد أهل السنة بالدولة العثمانية كان سببا لأن تشن الدولة العثمانية الحملات ضد الصفويين ،وتنزل بهم الهزائم المتتالية .

وبحث الصفويون عن حليف قوي يساعدهم ضد الدولة العثمانية ، حتى لو كان هذا الحليف من الصليبيين أعداء الإسلام . وحاول الشاه اسماعيل الصفوي التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية بعد هزيمة شالديران سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م منتهزا عداوتهما معا ضد العثمانيين [٤] . وفي سنة

---

(١) النهروالي، الاعلام، ص ٢٧٥ — ٢٥٩.
Savory, Safavid persia, in The Cambridge history of Islam, Vol. (1). P.P. 398 - 399.

(٢) الشيلي، السنا الباهر، ورقة ٤٤ — ٤٥؛ النهروالي، البرق اليماني، ص ٢٧٥؛ الغزى، الكواكب السائرة، جـ ١، ص ٢٠٩، ابن العماد، شذرات الذهب، ص ٨٦ — ٨٧.

(٣) Cook, op. cit. P.P. 64 - 65; Savory, op. cit. P.P. 399 - 400;
اسماعيل سرهنك، نفس المرجع، ص ٥٢٥ — ٥٢٦؛ عبدالعزيز نوّار، العلاقات العراقية الايرانية، ص ١١.

(٤) عبدالعزيز نوار، تاريخ العرب الحديث، جـ ١، ص ٧٠.

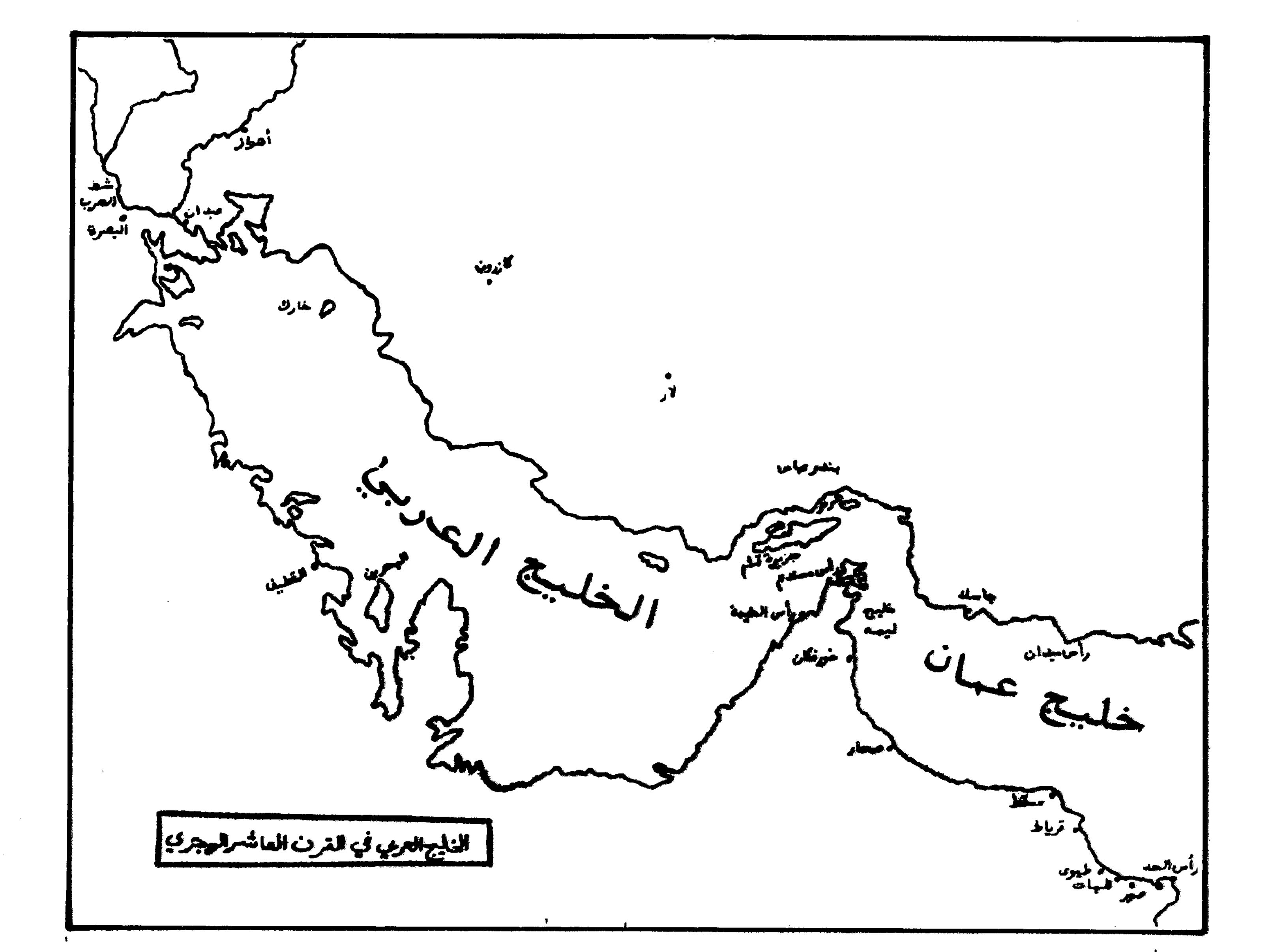
٩٢١ هـ/ ١٥١٥ م أرسل الشاه اسماعيل رسوله الى البوكيرك ، الذي كان قد جاء الى هرمز لإخضاعها مرة اخرى ، يطلب من البرتغاليين مساعدته ضد الدولة العثمانية ، وقيام تحالف بينهما . كما طلب الشاه اسماعيل من البوكيرك تقديم سفن برتغالية لتمكنه من غزو البحرين والقطيف في مقابل ان يتنازل للبرتغاليين عن ميناء جوادر على ساحل بلوخستان . ولم يتم هذا التحالف نظرا لموت البوكيرك [١] .

أما المحاولة الثانية لقيام تحالف بين الصفويين وبين أعداء الدولة العثمانية في الخليج العربي ، فكانت في نهاية القرن العاشر الهجري عندما اعتلى عرش فارس الشاه عباس الصفوى (٩٩٦ هـ - ١٠٣٨ هـ/١٨٥٧ م - ١٦٢٩ م) . فبعد أن اخذت شمس البرتغاليين في الأفول تحالف الشاه عباس مع الانكليز ووجد فيهم عملاء أفضل من البرتغاليين ، فمنحهم إمتيازات تجارية في الخليج العربي وسمح لهم بإقامة وكالة تجارية لهم في جاسك على الساحل الفارسي ، على أن يمدوا فارس بالمعونة الحربية ، كما سمح للنصارى بالإقامة في ضاحية مستقلة من ضواحي اصفهان [٢] .

هذه السياسة التي اتبعها الشاه عباس ، مهدت لتنافس القوى الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج ، بعد ان أخذ نفوذ البرتغالين في الاضمحلال في نهاية القرن العاشر الهجري .

---

(١) صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ١٧ — ١٨؛ لوريمر، نفس المرجع، ص ١٤.
(٢) صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ٢٣ — ٢٤؛ عبدالنعيم حسنين، نفس المرجع، ص ٢٤.



الخليج العربي في القرن العاشر الهجري

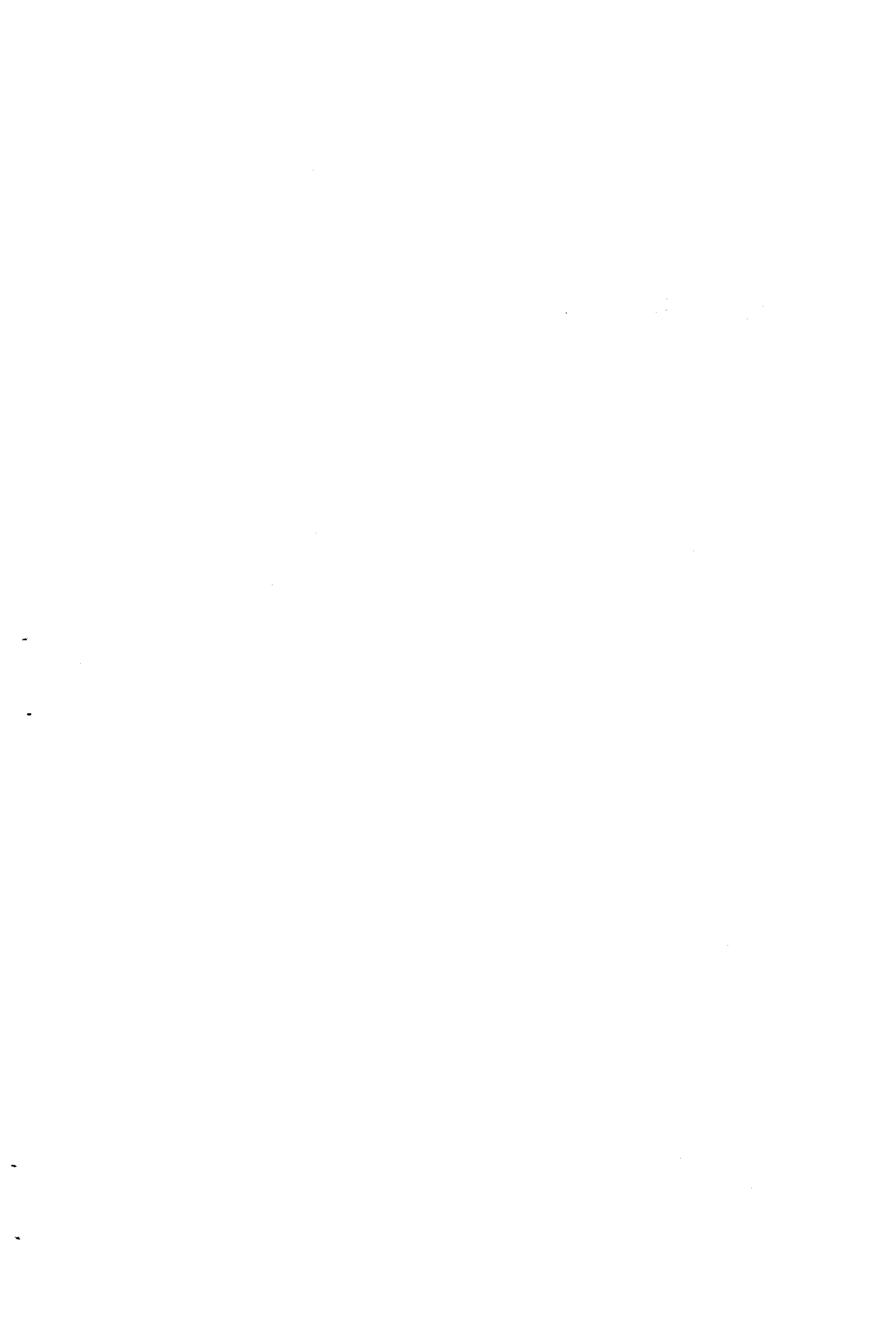
الفصل الرابع

نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري

١- محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها إلى موانئ مصر والشام.

٢- تحالف البرتغاليين مع الأحباش ضد القوى الاسلامية.

٣- بداية التنافس بين القوى الأوربية للسيطرة على تجارة الخليج العربي



(١) محاولات البرتغاليين السيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها الى موانىء مصر والشام

أشرنا في الفصل الثالث الى محاولة البرتغاليين الهجوم على الشحر التي تمثل مركز الجنوب العربي بعد عدن في الأهمية التجارية ، لكي يؤمنوا وجودهم في الخليج العربي ، ولكي يقطعوا الطريق على العثمانيين أثناء مهاجمة مراكزهم في الخليج .

وأدرك البرتغاليون بأن تأمين وجودهم في الخليج لا يتأتى الا بمهاجمة البحر الأحمر الذي يمثل أهم مراكز القوة العثمانية .

ودافع العثمانيون عن البحر الأحمر بشراسة نظرا لأن الأماكن المقدسة في الحجاز تطل على ذلك البحر ، وحاولوا انقاذ الخليج العربي من براثن البرتغاليين بشن الحملات عليه من البحر الأحمر .

هاجم البرتغاليون موانىء البحر الأحمر وخاصة الموانىء الواقعة في مدخله ، وحققوا بذلك بعض ما أرادوه حيث أعاقوا وصول كثير من المتاجر الى موانىء مصر ، ولم يستطع البرتغاليون منع وصول المتاجر الشرقية منعا تاما ـ خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ـ نظرا لضراوة المقاومة العثمانية .

وكما خطط البرتغاليون لمهاجمة مدخل البحر الأحمر ، قاموا أيضا بالتحالف مع الأحباش ضد القوى الاسلامية التي تطل

على البحر الأحمر . فالشاطىء الشرقي لافريقية لم يكن له فائدة تجارية بالنسبة للبرتغاليين سوى الحصول على الذهب والعاج وتأسيس قاعدة لهم على طريق الشرق [١] .

أما الهدف الأساسي للبرتغاليين من التحالف مع الأحباش ، فهو تكوين تحالف صليبي لتشتيت وإضعاف القوى الإسلامية في شرق افريقية ، وكذلك قوة الدولة العثمانية حتى تتراخى قبضة المسلمين على البحر الأحمر .

أدرك العثمانيون بعد سقوط سلطنة المماليك سنة **٩٢٣** هـ/ **١٥١٧** م أهمية اليمن ومدخل البحر الأحمر بالنسبة لتجارة البرتغاليين ، وإصرارهم على مهاجمة الأماكن الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولم يطمئن السلطان سليم العثماني لولاء القوات المملوكية باليمن رغم إعلان قائدها اسكندر الجركسي الولاء للدولة العثمانية ، ورغم توليه حكم اليمن بتفويض من السلطان سليم نفسه [٢] . لذلك عين السلطان سليم من قبله حسين الرومي واليا عثمانيا على جدة لمراقبة الاوضاع في البحر الأحمر [٣] .

---

(١) Chttik, The East Coust Madagascar and the Indian Ocean, in **Cambridge** History of Africa, Vol. (3). P. 227.

(٢) النهروالي . البرق اليماني . ص ٣٣ . يحيي بن الحسين . غاية الاماني . جـ ٢ . ص ٦٥٦ .
عبدالحميد البطريق . من تاريخ اليمن الحديث . ص ٢٢ .

(٣) البطريق . نفس المرجع . ص ٢٢ — ٢٣ .

يضاف الى ذلك ان الأشراف في الحجاز أعلنوا خضوعهم للدولة العثمانية مما سهل للعثمانيين مهمة المقاومة في البحر الأحمر ضد البرتغاليين .

وفي سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧ م شن البرتغاليون حملة على مدخل البحر الأحمر بقيادة لوبو سواريز Lopo Soares خليفة البوكيرك الذي سار الى جدة للاستيلاء عليها [(١)] ، واستعد القائدان التركيان في جدة سلمان ريس وحسين الرومي لمواجهة هذا الخطر البرتغالي بعد ان وصلتهما أنباء الحملة . وطاردا البرتغاليين حتى كمران ، واستوليا على واحدة من سفنه ، وعادا الى جدة ، وأرسلا الأسرى الى السلطان العثماني [(٢)] وفي كمران لم يستطع سواريز البقاء طويلا ، فأبحر إلى زيلع وأحرقها ، ثم عاد إلى عدن وحاصرها . ولما واجه مقاومة شديدة بها عاد الى هرمز ثم الى غوا في الهند [(٣)] .

وفي سنة ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠ م جاء البرتغاليون الى عدن في حملة اخرى بقيادة دييجو لوبيز دي سيكيرا ، ورسا أول الأمر في دهلك ، فوصلت اخباره الى حسين الرومي النازل في زبيد

---

(١) Serjeant, op. cit. P. 17;
محمد البحراوى، نفس المرجع ، ص ٧٩ — ٨٠.

(٢) زين الدين ، تحفة المجاهدين، ص ٤٩ ؛ يحيي بن الحسين، غاية الأماني، ص ٦٥٨.

(٣) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٤٣ ؛ محمد البحراوي، نفس المرجع، ص ٨٠؛
Serjeant, op. cit. P. 17.

فأسرع الى جدة للدفاع عنها [١] . واستنجد الشريف بركات بالدولة العثمانية ، فبعث اليه والي مصر بنجدة كبيرة الى جدة [٢] .

ولما وصل القائد البرتغالي الى جدة وقد تحطمت بعض سفنه بفعل العاصفة ، وجد مقاومة العثمانيين العنيفة واستعداداتهم الضخمة ، فعاد هاربا الى جزر دهلك ثم عدن فزوده حاكمها مرجان الظافري بالمؤن وأقلع متجها الى الهند [٣] .

ورد العثمانيون على المحاولات البرتغالية المتكررة بأن عملوا على تنظيم الشئون البحرية والادارية بميناء السويس ، وجعلوه قاعدة كبرى لشن حملاتهم في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي [٤] .

ولم يستقر الأمر طويلا للعثمانيين في اليمن حيث اشتدت المنازعات بينهم وبين بقايا المماليك والزعماء من أهالي البلاد حتى سنة ٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨ م ، حين تواترت الأنباء الى السلطان العثماني سليمان القانوني بازدياد هجوم البرتغاليين على عدن ،

---

(١) يحيي بن الحسين، غاية الأماني، ص ٦٦٣؛ Serjeant, op. cit. P. 18.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٥، ص ٣١٣؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، جـ ٢، ص ١١٤.

(٣) يحيي بن الحسين، غاية الأماني، ص ٦٦٣.

(٤) Cook, op. cit. P. 90; Shaw, op. cit. Vol. (1). P. 100.

وازدياد هجماتهم على المسلمين في سواحل الهند . فأمر السلطان سليمان القانوني والي مصر سليمان باشا الخادم ببناء اسطول جديد في السويس للتصدى لهم في اليمن وفي المحيط الهندي (١) .

وفي اليمن استطاع سليمان باشا الخادم ان يخضع عدن للعثمانيين ويقتل حاكمها عامر بن داوود الطاهرى ، ويولي واليا عثمانيا من أتباعه . وبعد عودته من الهند ، أخضع مخا والصليف وجيزان كما حصن جزيرة كمران (٢) .

وفي سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م قاد ستيفن دى جاما Stephen de Gama حاكم الهند البرتغالي حملة كبرى الى البحر الأحمر مع أخيه كريستوفر لمهاجمة معاقل الأتراك . وقد رسا أول الأمر في مصوع ثم سار الى سواكن فاستقبله حاكمها خوفا من ان يدمر ستيفن دي جاما المدينة . وانتهز حاكم سواكن الفرصة وأرسل انذارا الى العثمانيين في السويس يخبرهم بقدوم البرتغاليين . فلما سار القائد البرتغالي الى السويس وجد استعدادا ضخما من العثمانيين لمواجهته ، وفاجأوه وأوقعوا به الهزيمة ،

---

(١) النهروالي، البرق اليماني، ص ٧٠ — ٧١؛ السيد رجب حراز. الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ٧٤ — ٧٥.

(٢) النهروالي، البرق اليماني، ص ٨٠ — ٨١؛ يحيي بن الحسين. غاية الأماني، ص ٦٨٤؛ السيد رجب حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، ص ٧٥؛ فاروق اباظة. عدن والسياسة البريطانية، ص ٥٣.

وتراجع البرتغاليون الى مصوع ، وبذلك فشلت هذه الحملة البرتغالية الى البحر الأحمر ايضا [١] .

ولم يترك البرتغاليون أية فرصة تسنح لهم للاستيلاء على عدن مفتاح البحر الأحمر . في سنة ٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م استغل أحد الأمراء المحليين في اليمن - وهو علي بن سليمان البدوى أمير خنفر - إنشغال العثمانيين بالحروب في شمال اليمن ، فاستولى على عدن وسعى الى التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية [٢] وأرسل والي مصر داود باشا حملة كبرى الى عدن استولت عليها ، وقتلت علي بن سليمان البدوى سنة ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨ م . أما البرتغاليون فجاءوا الى عدن متأخرين حيث وجدوا حليفهم قد انتهى أمره [٣] .

وفي سنة ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٨ م حاول قاسم بن شويع أمير عدن - الذي ينتمي الى طائفة الزيدية - التحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية ، فاستدعى عشرين منهم الى قلعة عدن وأراهم قوة التحصينات في مدينة عدن ، وطلب منهم مواجهة العثمانيين من ناحية البحر بينما يقوم هو بمنازلة العثمانيين برا . وتم

---

(١) Sousa, op. cit. Vol. (2). P.P. 12 - 23.
السيد رجب حراز، ارتريا الحديثة، ص ٢٩.

(٢) ابن المطهر، روح الروح، ورقة ٣٤؛ النهروالي، البرق اليمانى، ص ١٠٠ — ١٠١؛ العبدلي، هدية الزمن، ص ٩٩.

(٣) النهروالي، البرق اليمانى، ص ١٠٠ — ١٠١؛ Serjeant, op. cit. P. 20.

الاتفاق بين الطرفين على إرسال قوة عسكرية برتغالية من غوا لمساندة قاسم بن شويع ضد الدولة العثمانية . وجردت الدولة العثمانية حملة بقيادة الأمير خير الدين القبطان وأخيه الأمير سنان لاسترداد عدن من أيدي الأئمة الزيدية في اليمن .

ووصل القائدان العثمانيان الى عدن قبل وصول القوة البرتغالية ، وطارد الأمير خير الدين القبطان السفن البرتغالية حتى ولت فرارا وعاد الى عدن واستردها بعد قتل قاسم بن شويع [١] .

وفي أثناء فترة حكم نائب الملك في الهند دوارت دي مينزيس Doart de Meneses (١٥٨٤ م - ١٥٨٨ م) هاجم القائد البرتغالي كامارا Camara مدخل البحر الأحمر وتوغل فيه حتى جزيرة كمران ، ولكن العثمانيين تصدوا له عند الجزيرة وشتتوا سفنه ، فعاد الى هرمز يجر اذيال الفشل [٢] .

وهكذا استطاع العثمانيون ان يحافظوا على البحر الأحمر بحيرة إسلامية رغم ان البرتغاليين كانت لهم مراكز تموين لسفنهم قريبة جدا من البحر الأحمر في الخليج العربي . ولا شك ان البرتغاليين استغلوا نفوذهم في الخليج العربي لتدمير طريق التجارة

---

(١) النهروالي : البرق اليماني، ص ٢٤٩ — ٢٥٣.

(٢) Sousa, op. cit. Wol. (3). P.P. 29 - 30.

المار في البحر الأحمر عن طريق مهاجمة المراكز البحرية العثمانية المطلة عليه ، وممارسة أعمال القرصنة عند مدخله وعلى سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية كما سبق ان ذكرنا [١] .

ولمواجهة خطر تلك المحاولات التي قام بها البرتغاليون للسيطرة على تجارة السلع الشرقية ، قام العثمانيون بعدة جهود لعرقلة النشاط التجاري البرتغالي في المحيط الهندي ، ولفك الحصار الذي فرضه البرتغاليون على طرق التجارة المارة عبر الخليج العربي والبحر الأحمر . ومن هذه الجهود تلك الحملة التي قام بها الأمير مصطفى الرومي من مخا في اليمن الى جزيرة ديو قرب الساحل الهندي سنة ٩٣٨ هـ/ ١٥٣١ م . وكانت ديو تابعة لسلطان كوجرات بهادر شاه ، وولى عليها توغن بن مالك اياس . فلما وصل الأمير مصطفى الرومي الى ديو أكرم وفادته السلطان بهادر شاه وولاه حكم جزيرة ديو ولقبه رومي خان . وفي جزيرة ديو تصدى الأمير مصطفى لكثير من الغارات التي شنها نائب الملك البرتغالي في الهند نونو دي كونها Nuno de Cunha (١٥٢٩ م - ١٥٣٨ م) وانزل بالبرتغاليين هزائم متتالية [٢] .

وفي سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤ م دخل بهادر شاه حاكم

---

(١) انظر ما سبق.

(٢) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٥٧؛ النهروالي، البرق اليماني، ص ٥٥؛ Macgregor, op. cit. P. 607.

كوجرات بالهند في حرب مع همايون[1] سلطان الدولة المغولية الإسلامية . فلما رأى بهادر شاه الخطر محدقا به استنجد بنونو دى كونها نائب الملك البرتغالي في الهند ، وعقد معه معاهدة تنازل له بموجبها عن عدة موانىء ، وسمح له ببناء قلعة برتغالية في ديو . وبناء على هذه المعاهدة تم بناء القلعة البرتغالية سنة ٩٤٢ ـ ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٥ ـ ١٥٣٦ م[2] وبعد زوال خطر همايون عن مملكة كوجرات ، نقض بهادر شاه معاهدة الصلح ودخل في حرب مع البرتغاليين فهزموه وقتل في المعركة سنة ٩٤٣ هـ/ ١٥٣٦ م وبذلك استولى البرتغاليون على جزيرة ديو .

وعندما بلغت هذه الأخبار أسماع السلطان سليمان القانوني أمر واليه على مصر سليمان باشا الخادم بمنازلة البرتغاليين في المحيط الهندي . ووصل سليمان باشا إلى الهند في سنة ٩٤٤ هـ/ ١٥٣٨ م في مائة سفينة وعشرين الف جندى . وبادر سليمان باشا الخادم الى حصار جزيرة ديو . وهناك وقع الخلاف بينه وبين محمود شاه ، حيث اعتقد ملك كوجرات ان سليمان طامع في مملكته ولم يأت للمشاركة في قتال البرتغاليين . ورفض التعاون مع سليمان باشا وامتنع عن امداده بالمؤن ، لذلك بادر القائد

---

(١) زين الدين، تحفة المجاهدين، ص ٥٨ — ٥٩، جمال الدين الشيال، دولة أباطرة المغول في الهند، ص ٤٧.

(٢) Serjeant, op. cit. P.P. 18 - 19; Macgregor, op. cit. P. 607; Cook, op. cit. P. 90.

العثماني الى رفع الحصار والعودة الى اليمن ثم السويس [١] .

وهكذا أدت الشكوك المتبادلة بين بعض الحكام المسلمين وسوء تصرفاتهم في الأوقات الحرجة الى نتائج وخيمة أهمها ضياع جزيرة ديو منهم ، وبالتالي زيادة السيطرة البرتغالية على الساحل الهندي .

وعلى الرغم من الصعوبات التي لقيها العثمانيون في تجهيز أساطيلهم للتصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، نظرا لبعد هذه المناطق عن مراكز الاساطيل العثمانية الكبرى في البحر المتوسط ، وعلى الرغم من فشل العثمانيين في تحطيم السيطرة البرتغالية على المحيط الهندي ، الا أنهم استطاعوا بدون شك عرقلة النشاط التجاري للبرتغاليين ، وأدى ذلك الى فشل محاولات البرتغاليين السيطرة الكاملة على تجارة السلع الشرقية المارة عبر موانئ مصر والشام .

وقد رأينا أن الغزو البرتغالي للخليج العربي قد حوله الى مخزن للتجارة فقط ، ودمرت معظم موانئه وأهمها هرمز التي أصبحت

---

(١) النهروالي، البرق اليماني، ص ٨٢ — ٨٤؛ اسماعيل سرهنك، نفس المرجع، جـ ١، ص ٥٤٨؛
Inalcik, op. cit. P.P. 126 - 127, Shaw, op. cit. Vol. (1). P. 100.

قاعدة للعمليات الحربية . وكان لهذا كله أبلغ الأثر على كميات السلع الشرقية المنقولة الى الشام عبر الخليج العربي .

وتجدر الإشارة الى أن التجارة المارة عبر الخليج العربي أخذت في الانبعاث من جديد في حوالي منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، نظرا لرد الفعل الاسلامي المضاد سواء من أبناء الخليج أو من العثمانيين .

ففي عام ٨٥٧ هـ / ١٥٥٠ م أصبحت حلب القريبة من شاطىء البحر المتوسط مركزا تجاريا مزدهرا بما وصل اليها من تجارة الهند عن طريق العراق وايران . وجاءتها كميات هائلة من التوابل والحرير [١] . كما ان البصرة أصبحت المصدر الرئيسي للبضائع الهندية المارة بالعراق وعاد التجار الأوربيون يتعاملون مع مراكز التجارة في سواحل الشام ومصر ، ففي السنوات ما بين ٩٦٨ - ٩٧٢ هـ / ١٥٦٠ - ١٥٦٤ م اشترى البنادقة سنويا من ميناء الاسكندرية اثنى عشر ألف قنطار (١٢٫٠٠٠) من التوابل ، وهي كميات تعادل ما كان يشتريه البنادقة قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح [٢]

الا أن هذا الانبعاث للتجارة المارة في الخليج والبحر الاحمر

(١) Cook, op. cit. P.P. 100 - 123.

(٢) Inalcik, op. cit. P. 127.

لم يدم طويلا ، في نهاية القرن العاشر الهجري ، بدأت قوى بحرية أعظم من القوة البرتغالية تدخل الى هذين المعبرين ، وتفرض سيطرتها على أهم المراكز بهما ، ومن هذه القوى الشركات التجارية الهولندية والانكليزية [1] .

(٢) تحالف البرتغاليين مع الأحباش ضد القوى الإسلامية

ويعتبر تحالف البرتغاليين مع الأحباش أثرا من آثار النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري . وتجدر الإشارة هنا الى القوى الاسلامية في شرق أفريقيا قبيل قدوم البرتغاليين .

تشبعت الحبشة بالأفكار الصليبية في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، لذلك جعلت من جيرانها مسلمي الطراز اعداءها الألداء . وواجه المسلمون في شرق افريقية كثيرا من اضطهادات ملوك الحبشة بإثارة روح الجهاد في سبيل الله ضدهم . واستطاع المسلمون بفصل هذه الروح القوية الصمود قرونا طويلة أمام جبروت الاحباش الصليبيين ، بل انتصروا عليهم في فترات كثيرة .

---

(١) Cook, op. cit. P.P. 122 - 123.

ولو تتبعنا حالة مسلمي الطراز في القرن التاسع الهجري لوجدناها تتأرجح بين القوة والضعف ، حسب حالة الوحدة القائمة بين الدويلات الاسلامية ، أو قيام امارة متزعمة تقود حركة الجهاد ، هذا فضلا عن الوضع الجغرافي الصعب الذي يسود مناطق المسلمين ، فهم يقيمون في مساحات شاسعة رديئة المواصلات تتخللها القبائل البدوية ، مما صعّب عملية جمع الجيش وتعبئته [١] .

وفي بداية القرن التاسع الهجري قام امبراطور الحبشة اسحاق الأول (١٤١٤ م - ١٤٢٩ م) بهجوم شامل على مناطق المسلمين وأوقع بهم هزائم كثيرة ، وعمل على اضطهادهم حتى وصلت أخباره الى السلطان المملوكي برسباي في مصر . فغضب لما حل بالمسلمين هناك وحبس بطريرك القبط في مصر وهدده بالقتل لو حاول الاتصال بملك الحبشة الا بإذن من السلطان ، كما أمر بإغلاق كنيسة القيامة انتقاما لما حل بالمسلمين على أيدي الأحباش [٢] .

واستمر خلفاء اسحاق على هذا المنوال فنرى زرء يعقوب (١٤٣٤ - ١٤٦٨ م) ينكل بالمسلمين كما فعل اسلافه ويشن

---

(١) عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، مجلة كلية الشريعة ، العدد ٣ ، السنة ١٣٩٨/٩٧ هـ . ص ١٦ .

(٢) المقريزى ، السلوك ، قسم ١ ، جـ ٤ ، ص ٤٩٣ — ٤٩٤ ؛ عبدالمجيد عابدين ، نفس المرجع . ص ١٧٩ — ١٨٢ .

عليهم حربا دامية ، فهاجم سلطنتي اوفات وعدل وأصبحت المالك الاسلامية تدفع الجزية لامبراطور الحبشة [١] . الا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا ، فبعد موت زرء يعقوب أخذ المسلمون في تجميع قواهم مرة اخرى وشن حرب جديدة ضد الحبشة ، وأخذت عدل دور القيادة في القوة الجديدة ، فقد ظهر فيها قائد قوى هو الإمام محفوظ الذي كان يهدف الى استعادة المدن على الحدود الشرقية للحبشة ، وهي ايفات ، وفيتجارو ، ودوارو وبالي . وقد هاجمها محفوظ وانزل هزائم كبيرة متتالية بالأحباش في عهد ملكي الحبشة اسكندر (١٤٧٨ ـ ١٤٩٤ — وناعود (١٤٩٤ ـ ١٥٠٨) وقتل ناعود وهو يدافع عن مقاطعة ايفات في مواجهة الامام محفوظ [٢] .

وفي أواخر القرن التاسع الهجري جاء البرتغاليون الى شرق أفريقية بعد عبورهم رأس الرجاء الصالح ، وهي فترة حرجة حدا واجه الأحباش فيها انبعاث القوة الإسلامية .

ورغم قيام بعثات كشفية برتغالية الى بلاد الحبشة قبل دخول البرتغاليين الى الشرق ، إلا أنه بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح في القرن العاشر الهجري بدأ البرتغاليون اتصالاتهم الفعلية مع مملكة برسترجون المسيحية .

---

(١) السخاوي، ذيل السلوك، ص ٧١ — ٧٢؛ عبدالله الحبيد، سفارة الامام المتوكل، ص ١٧؛ عبدالمجيد عابدين، نفس المرجع، ص ١٨٤ — ١٨٥.

(٢) Tamrat, op. cit. P.P. 166 - 167.

وعندما وصل فاسكو دي جاما الى الساحل الشرقي لإفريقية في رحلتيه بدأ في البحث عن هذه المملكة ، فلم يجد الا الممالك الإسلامية على الساحل لذلك عامل هذه المدن بكل قسوة ووحشية . وعندما تركها بعث رجاله لاكتشاف بلاد برسترجون [١] .

وفي سنة ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣ م أجبر البرتغاليون سكان جزر زنجبار وبمبا ومافيا على دفع الجزية ، وفي سنة ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م استولى الميدا أول نائب ملك في الهند على سفاله ، وكلوه وممباسا .

وفي سنة ٩١٢ هـ/ ١٥٠٦ م دمّر تريستان دى كونها Tristan de Cunha والبوكيرك الموانىء الشمالية وهي لامو واجا وبراوا ، وأجبروا سكانها على الخضوع للبرتغاليين [٢] . وهنا اقترب البرتغاليون من الحبشة التي كانت تواجه الزحف الاسلامي عليها .

وكما ذكرنا سابقا فإن الأمير محفوظ كان يهدد الحدود الشرقية للحبشة ، وقد قتل الملك ناعود في إحدى هذه الحروب .

وفي سنة ٩١٨ هـ/ ١٥١٢ م تولى عرش الحبشة الملك

(١) Sousa, op. cit. Vol. (1). P. 56.

(٢) Serjeant, op. cit. P. 14.

الطفل لبنا دنجل Lebna Dengel وكانت الوصية عليه أمه الملكة هيلين Eleni التي سعت في قيام تحالف صليبي بين الحبشة والبرتغاليين . وارسلت هيلين رسولا لها يدعى ماثيو Mathieu الى البوكيرك نائب الملك في الهند عرض عليه رغبة الملكة في القيام بعمل مشترك مع البرتغاليين للاستيلاء على الحجاز ومصر ، وطلبت منه تزويدها بأسطول قوي يعمل ضد القوى الإسلامية في البحر الأحمر [١] . ثم سافر المبعوث الحبشي ماثيو الى البرتغال ، وهناك وجد التأييد التام لمطالب الملكة من قبل ملك البرتغال مانويل (١٤٩٥ ـ ١٥٢١ م) فقد وجد البرتغاليون في هذا الحلف مساعدا لمخططاتهم في البحر الأحمر خاصة الإستيلاء عليه من أيدي العثمانيين أو فرض سيطرتهم على مدخله وتحطيم تجارته .

وأرسل الملك مانويل بعثته التي تحمل الجواب الى الملكة ولكنها لم تصل إلا في سنة ٩٢٧ هـ/ ١٥٢٠ م . وفي تلك الأثناء أصبح لبنا دنجل امبراطوراً على الحبشة خلفا لوالدته هيلين . ونظراً لانتصاره على الأمير محفوظ فقد تنصل من مسئولية البعثة الحبشية ، وعادت البعثة البرتغالية دون ابرام معاهدة تحالف بين البرتغال والأحباش [٢] .

---

(١) أحمد دراج ، المماليك والفرنج ، ص ١٣٨ ــ ١٣٩ ؛ محمد البحراوي ، نفس المرجع ، ص ٦٤ ــ ٦٥.

(٢) عبدالله الحبيد ، سفارة الامام المتوكل ، ص ١٩ ؛ Tamrat, op. cit. P. 181.

وفي عهد الامبراطور لبنا دنجل ظهر الإمام أحمد بن ابراهيم القرين الذي اتسع سلطانه على حساب مملكة الحبشة .

وتعتبر دولة الإمام أحمد بن ابراهيم القرين مظهراً من مظاهر إنبعاث القوة الإسلامية في شرق أفريقية في القرن العاشر الهجرى خاصة أن الإمام أحمد القرين لعب دوراً هاماً في التحالف الإسلامي مع العثمانيين.

في سنة ٩٢٢ هـ/١٥١٦م قتل الإمام محفوظ وقامت المنازعات على السلطة في مملكة عدل. واستغل الأحباش الفرصة وشنوا هجمات متعددة على الدويلات الإسلامية وعملوا على تدميرها ونهبها وأسروا أعدادا كبيرة من المسلمين. وقد تصدت لهم قوات من جيش عدل بقيادة أحمد بن ابراهيم الذي استطاع بشجاعته وجهاده أن يخلف الملك أبا بكر بن محمد الحاكم الفعلي في المملكة. وعمل أحمد بن ابراهيم على تكوين جيش قوى ضخم من القبائل الصومالية. وما أن جاءت سنة ٩٣٦ هـ/١٥٢٩م حتى كوّن الإمام أحمد دولة قوية ذات نفوذ وعلى استعداد لخوض غمار حرب طويلة مع الأحباش[١] .

واستولى الإمام أحمد على مناطق فيتجارو، ودبارو وايفات، وبالي وشوا، حتى وصل إلى نهر أواش Awash ، ثم

---

(١) Tamrat,op. cit. P.P. 169 - 171.

أمهرا ولاستا. وأصبح الامبراطور لبنادنجل طريداً فاراً أمامه من موقع إلى آخر. ووصل الإمام بذلك إلى قلب أراضي الامبراطورية الحبشية المسيحية، وامتدت مملكته من البحر الاحمر شرقا حتى كسلا غربا[١].

وأرسل الملك لبنادنجل سنة ٩٤٢ هـ/١٥٣٥م طالبا النجدة من البرتغاليين. ولبى البرتغاليون الطلب فبعث ستيفن دى جاما Stephen de Gama نائب الملك في الهند — الذي كان يقود حملة إلى البحر الأحمر — أخاه كريستوفر Christopher لنجدة الامبراطور. وفعلا وصل القائد البرتغالي مع أربعمائة رجل سنة ٩٤٨ هـ/١٥٤١م الى الحبشة[٢].

وصلت إلى الحبشة النجدة البرتغالية التي طلبها الامبراطور، الحبشي للانضمام إليه في مقاومة الإمام أحمد الذي كان في ذلك الوقت في مقاطعة التيجري الشمالية. وحقق البرتغاليون مع الأحباش إنتصارات أولية على الإمام حتى أجبروه على الهرب إلى جبال زابول[٣].

---

(١) Tamrat, op. cit. P.P. 173 - 174, Serjeant, op. cit. P. 19;
عبدالله الحبيد، سفارة الامام المتوكل، ص ١٨ — ١٩.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (2). P.P. 54 - 55; Tamrat, op. cit. P. 181;
عبدالله الحبيد، سفارة الامام المتوكل، ص ١٩.

(٣) Serjeant, op. cit. P. 19.

ومن هناك أرسل الإمام أحمد بن ابراهيم يطلب المساعدة من العثمانيين الذين كانوا قبل ذلك قد استولوا على سواكن وزيلع. وقبل العثمانيون التحالف مع الإمام أحمد بن ابراهيم القرين ومد يد العون له ضد البرتغاليين وحلفائهم الأحباش. فعندما تلقى الباشا العثماني مصطفى النشار (٩٤٧ هـ/٩٥٢ هـ) في زبيد طلب المساعدة أرسل إلى الإمام ألف جندى عثماني مزودين بالبنادق وعشرة مدافع [١].

وفي معركة أوفلا Wofla إنتصر المسلمون إنتصاراً باهراً على التحالف الصليبي. وقبض الإمام على القائد البرتغالي كريستوفر دى جاما Christopher de Gama وقتله وشتت قوات الامبراطور الحبشي [٢].

ونظرا لعدم ثقة الإمام في العثمانيين فقد أعاد بعد هذا النصر معظم القوة العثمانية إلى زبيد واحتفظ بمائتي جندي فقط وعسكر معهم قرب بحيرة تانا [٣]، مما أعطى الفرصة للبرتغاليين والأحباش لإعادة تنظيم قواتهم، وحشدها لخوض معركة كبيرة ضد الإمام.

---

(١) ابن المطهر، روح الروح، ورقة ٣٩.
Sousa, op. cit. Vol. (2). P. 599; Serjeant, op. cit. P. 19;
عبدالله الحبيد، سفارة الامام المتوكل، ص ٢٠.

(٢) Sousa, op. cit. Vol. (2). P.P. 60 - 61; Serjeant, op. cit. P. 19.

(٣) Tamrat, op. cit. P.P. 181 - 182.

وفي سنة ٩٥٠ هـ/١٥٤٣م وقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين قرب بحيرة تانا في موقع يسمى ويناديجا Woina Dega هزم فيها الإمام أحمد وقتل وتفرق جيشه [١].

وبموت الإمام أحمد لم تنقطع المقاومة الإسلامية في شرق أفريقيا ولم ينته تحالف العثمانيين مع القوى الإسلامية للتصدى للنفوذ البرتغالي المتسلل إلى البحر الأحمر سواء عن طريق مهاجمة عدن أو عن طريق التحالف مع الأحباش.

في سنة ٩٥٦ هـ/١٥٥١م قام الإمام نور الدين بن الوزير مجاهد في هرر بمقاومة الأحباش، بعد أن أعاد تنظيم القوات الإسلامية فيها [٢]. كما قام العثمانيون في سنة ٩٦٥ هـ/١٥٥٧ ميلادية بالاستيلاء على مصوع، وحرقيقو Harkiko لقطع طريق الإمداد العسكرى بين البرتغاليين والأحباش.

ومن مصوع أغار ازدمر باشا القائد العثماني على دباروا Dabarwa واستولى عليها وبنى بها حصنا للحامية العثمانية، وأصبحت دباروا مركزا لشن الحملات ضد الحبشة. وكانت سواكن ومصوع بمثابة مراكز الإمداد والتراجع عند الهزيمة. وفي

---

(١) Tamrat, op. cit. P. 182, Serjeant, op. cit. P.P. 19 - 20.

(٢) عبدالله الحبيد، سفارة الإمام المتوكل، ص ٢٠.

تلك الاثناء نشبت معركة بين نور الدين مجاهد وامبراطور الحبشة جلاديوس Galadewos (١٥٤٠ — ١٥٥٩م)، هزم فيها الامبراطور الحبشي وقتل في سنة ٩٦٧ هـ/١٥٥٩م[١]

وفي عهد الملك سرصا دنجل Sarsa Dengel (١٥٦٣م — ١٥٩٧م) طرأ تغيير في التحالف بين العثمانيين ومسلمي شرق افريقية، ذلك أن المسلمين هناك قد أصابهم الضعف بعد موت نور الدين مجاهد سنة ٩٧٥ هـ/١٥٦٧م، وقلت خطورتهم على الأحباش مما أتاح الفرصة لازدياد قوة التحالف الصليبى بين الأحباش والبرتغاليين لذلك استغل العثمانيون قيام فتنة بقيادة البحر نجش اسحاق ضد الامبراطور الحبشي وتحالفوا معه ضد الامبراطور سرصا دنجل . واستطاع امبراطور الحبشة بمساعدة البرتغاليين ان يوقع بالعثمانيين وحليفهم اسحاق ، هزيمة كبرى في معركة عدى كورو Addi Qorro باقليم تجراى Tigrai سنة ٩٨٦ هـ/١٥٧٨ م ، وقتل فيها اسحاق والباشا التركى[٢] .

وفي سنة ٩٩٨ هـ/١٥٨٩م اشتعلت الحرب مرة أخرى ضد الإمبراطور الحبشي بقيادة ولدا عزوم Walda Ezum الذي تحالف مع العثمانيين في مصوع. واحتل الأتراك دباروا مرة أخرى، وسار الإمبراطور سرصا دنجل بقواته والتقى بالمتحالفين قرب نهر مرب

---

(١) النهروالي، البرق اليماني، ص ١١٩ — ١٢٠؛ عبدالله الحبيد، سفارة الإمام المتوكل، ص ٢٠. السيد رجب حراز، ارتريا الحديثة، ص ٢٩ — ٣٠؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة الحبشة.

(٢) السيد رجب حراز، ارتريا الحديثة، ص ٣١؛ عبدالمجيد عابدين، نفس المرجع، ص ١٩٥

وأوقع بهم الهزيمة (١) . وانسحب باشا مصوع التركي كداورت الى حرقيقو، ولم يستطع الامبراطور القضاء عليه هناك فعقد معه صلحاً. وظل العثمانيون في شرق إفريقية رغم محاولات الأحباش المتعددة لإقصائهم بعيداً (٢).

يضاف إلى ذلك مغامرات العثمانيين البحرية المتقطعة على سواحل شرق أفريقية ومنازلتهم للأساطيل البرتغالية في البحر. ومنذ سنة ٩٩٢ هـ/١٥٨٤م قام الاميرال العثماني مير على بيك من اليمن بمهاجمة السفن البرتغالية عند ساحل سفاله، وقام بتحريض ملك مومباسا وكثير من حكام مدن الساحل ضد البرتغاليين، مما أقلق نائب الملك في الهند دوارت دى مينزيس Duart de Meneses ، فقرر ارسال قائده دى ميلو بومبيرو De Melo Pombeyro الذى احتل مومباسا وأوقع الهزيمة بمير علي بيك سنة ٩٩٧ هـ/١٥٨٨م (٣).

وهكذا نرى أن التحالف بين البرتغاليين والأحباش كان نتيجة من نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي. وأراد البرتغاليون من وراء هذا التحالف، حماية ذلك النفوذ والسيطرة على تجارة السلع الشرقية وحجب وصولها إلى موانئ مصر والشام.

---

(١) السيد رجب حراز، ارتريا الحديثة، ص ٣١ — ٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة الحبشة.
(٢) السيد رجب حراز، ارتريا الحديثة، ص ٣١ — ٣٢.
(٣) Sousa, op. cit. Vol. (3). P.P. 38 - 40; Chttiek, op. cit. P. 229 - 230.

(٣) بداية التنافس بين القوى الأوروبية للسيطرة على تجارة الخليج العربي

ولا شك أن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى كان من أهم نتائجه لفت أنظار القوى الأوروبية الأخرى إلى تجارة الخليج العربي. فلم يكن من المعقول أن تقف القوى الأوروبية المعاصرة مكتوفة الأيدي أمام غزو البرتغاليين لمراكز التجارة في الخليج العربي ثم انفرادها بكامل ثروات الشرق التجارية. ولهذا أخذت القوى الأوروبية الأخرى في منافسة البرتغاليين والدخول معهم في سباق لانتزاع ذلك النفوذ من أيديهم.

وكانت هذه القوى الأوروبية الجديدة ذات أهداف تجارية إستعمارية أنشبت أظفارها في الشرق الإسلامي لعدة قرون. وكانت القوة الحربية المصاحبة للسيطرة التجارية هي وسيلتها الأولى في فرض سيطرتها على تلك المناطق وقهر شعوبها.

في سنة ٩٨٨ هـ/١٥٨٠م استولى فيليب الثاني ملك أسبانيا على البرتغال بعد وفاة ملكها هنري، وبعد أن استقلت هولندا عن السيطرة الاسبانية. ومنع الأسبان البرتغاليين من المتاجرة مع هولندا مما دعا الهولنديين إلى التفكير في حرمان الأسبان من مصدر ثرواتهم بعد أن أصبحت البرتغال تابعة للتاج الاسباني —

عن طريق مزاحمتهم في التجارة الشرقية[1]، والحصول على التوابل من مصادرها الأصلية والقضاء على الإحتكار البرتغالي[2]. وبهذا أخذ نجم الهولنديين يلمع في الشرق وتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Company تحت اشراف الحكومة الهولندية في امستردام سنة ١٠٠٢ — ١٠٠٣ هـ/١٥٩٤ — ١٥٩٥م[3].

وفي السنوات التالية (١٥٩٦م — ١٦٠٤م) أخذت السفن الهولندية تترى عبر طريق رأس الرجاء الصالح إلى المحيط الهندي، وأخذت في فرض نفوذها على حساب النفوذ البرتغالي خاصة في الشرق الأقصى وجزر الهند. واستعانت شركة الهند الشرقية الهولندية في ذلك بعقد الإتفاقيات مع الحكومات المحلية لطرد البرتغاليين من سواحلهم[4].

وكان الخليج العربي يمثل بالنسبة للشركة الهولندية مركزا تجاريا هاما في خط مواصلاتها الطويل، لذلك عملت الشركة جاهدة في محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي لتعطيل سير تجارتهم، والحصول على مركز تجاري في الخليج

---

(١) فاروق اباظة. عدن والسياسة البريطانية. ص ٥٩. لوريمر. نفس المرجع. ص ٢٢ — ٢٣.

(٢) Encyclopaedia Britannica, Article Portugal.

(٣) فاروق أباظة. نفس المرجع. ص ٥٩.

(٤) قدرى قلعجي. نفس المرجع. ص ٣٨٤.

العربي ينافس هرمز التي كانت تحت سيطرة البرتغاليين آنذاك. لذلك ساعدوا الشركة الانكليزية بإمدادها وحلفائها الفرس بالمعونة الحربية حتى استطاعوا بعد ذلك توطيد نفوذهم في ميناء بندر عباس وجزيرة قشم.

ولكن المصالح التجارية الهولندية والإنكليزية في الخليج العربي لم تلبث ان تعارضت، فدخل الهولنديون والإنكليز والبرتغاليون في حروب ومنازعات من أجل السيطرة على الخليج العربي وذلك في بداية القرن الحادى عشر الهجرى/السابع عشر الميلادي (١) .

أما عن شركة الهند الشرقية الانكليزية التي تأسست في سنة ١٠٠٩ هـ/١٦٠٠ م فقد كانت للإنكليز اتصالات مبكرة في القرن العاشر الهجري في منطقة الخليج العربي. تمثلت هذه الاتصالات في رحلات عديدة قام بها مغامرون ومبعوثون انكليز للحصول على معلومات دقيقة عن أحوال التجارة البرتغالية في الخليج العربي، وأملا في عقد صداقات مع شاه فارس لتسهيل قيامهم بالتجارة هناك. وقد تمخضت هذه الرحلات الكشفية عن فوائد جمة للتجارة الانكليزية، حيث هيأت وجود حليف لهم هو الشاه عباس (٩٩٦ هـ — ١٠٣٨ هـ/١٥٨٧م — ١٦٢٩م) الذي منحهم تسهيلات كبيرة فيما بعد.

---

(١) صلاح العقاد. التيارات السياسية. ص ٣٠؛

Milles, op. cit. 186.

وقامت أولى هذه الرحلات عام ٩٨٨ هـ — ٩٨٩ هـ حيث بعثت الملكة اليزابيث الأولى ملكة بريطانيا مبعوثها جون نيوبرى الذي وصل إلى هرمز بعد أن مرّ بحلب ثم البصرة، وجمع معلومات مكثفة عن التجارة هناك[١]. وفي سنة ٩٩١ هـ/١٥٨٣م عاد المبعوث نفسه في رحلة أخرى مع ثلاثة آخرين هم رالف فيتش، ووليام ديدز، وجيمس ستورى، وقد جاءوا عن طريق العراق، ثم البصرة، وهرمز. وهناك القى البرتغاليون القبض عليهم وأرسلوا إلى غوا وسجنوا هناك. ومن غوا أرسل المبعوثون الإنكليز التقارير إلى انكلترا يصفون فيها ثروات الشرق ورفاهيته وأرباح التجار الخيالية هناك[٢].

وبعد أن اعتلى عرش فارس الشاه عباس الأول الصفوى وصل الى بلاطه مبعوثان انكليزيان هما الأخوان انطوني وروبرت شيرلى، اللذان احتلا مكانا مرموقا لدى الشاه عباس وقدما اليه اقتراحات بشأن السماح للانكليز بالتجارة مع فارس وإعفائهم من الضرائب في موانئ فارس على الخليج العربي[٣].

وهكذا مهد الانكليز لقيام شركتهم بإيجاد حلفاء لهم من الفرس في أهم منطقة على طريق الهند وجاء تأسيس الشركة في

---

(١) لوريمر، نفس المرجع، ص ١٩ — ٢٢؛ قدري قلعجي، نفس المرجع، ص ٣٧٧ — ٣٧٨.
(٢) لوريمر، نفس المرجع، ص ١٩، ٢٢؛ قدري قلعجي، نفس المرجع ص ٣٧٨ — ٣٧٩.
(٣) صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ٢٨؛ قدري قلعجي، نفس المرجع، ص ٣٧٩.

وقت ازدهرت فيه التجارة الانكليزية بعد أن حققت انكلترا انتصارها الباهر على الاسطول الأسباني الأرمادا سنة ٩٩٦ هـ/١٥٨٨م فاندفعوا إلى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح لإيجاد مناطق جديدة تناسب التوسع التجاري القائم لديهم، بعد أن عرفوا مقدار النفع الهائل الذي عاد على البرتغاليين نتيجة اتجاههم صوب الشرق(١).

وفي ٢١ ديسمبر ١٦٠٠م وقعت الملكة اليزابيث الأولى المرسوم الخاص بتأسيس شركة الهند الشرقية تحت اسم «شركة حكام وتجار لندن للعمليات التجارية في الهند والاقطار المجاورة»(٢).

"The Governor and Company of Merchants of London Trading into the East Indies".

وأعطى هذا المرسوم للشركة الحق في احتكار التجارة الشرقية لمدة خمسة عشر عاما، وقد تم تمديد هذه المدة بعد ذلك(٣).

وأسس الانكليز أول مركز لهم فيكوجرات على الساحل الغربي للهند، ثم أخذت في تأسيس مراكز لها على طول الطريق

---

(١) مصطفى النجار. شركة الهند الشرقية الانكليزية. مجلة دراسات الخليج. عدد ١٦. سنة ١٩٧٨م. ص ١٠٢؛ لوريمر. نفس المرجع. ص ٢٢ — ٢٣.

(٢) لوريمر. نفس المرجع. ص ٢٢ — ٢٣؛ مصطفى النجار. شركة الهند الشرقية. ص ١٠٢؛ فاروق اباظة. نفس المرجع. ص ٦٤.

(٣) مصطفى النجار. شركة الهند الشرقية. ص ١٠٢.

المار بالبلاد العربية في البحر الأحمر والخليج العربي، عن طريق عقد معاهدات تجارية مع دول المنطقة. وأخفت هذه المعاهدات في طياتها مطامع الاستعمار الاوربي.

ومن أهم الدول التي عملت شركة الهند الشرقية على الاتفاق معها هي فارس. فقد حصلت الشركة عام ١٠٢٤ هـ/١٦١٥م على فرمان شاهنشاهي ينص على منح الإنكليز حق التجارة مع فارس، وتأسيس مراكز تجارية لهم في شيراز وأصفهان وجاسك، وإعفائهم من الضرائب فيها[١]. وقد وافق هذا الإتفاق اطماع الانكليز في محاربة النفوذ البرتغالي في الخليج العربي وإضعاف منافسة الهولنديين فيه، مما أدى أخيرا الى سيادة النفوذ الانكليزي في الخليج العربي والسيطرة عليه ونهب ثرواته الضخمة.

أما عن أسباب تدهور القوة البرتغالي في الخليج العربي في نهاية القرن العاشر الهجرى، فنستطيع أن نجمل أهمها في عدة نقاط :

(١) انتقال البرتغال سنة ٩٨٨ هـ/١٥٨٠م إلى السيادة الأسبانية مما أدى إلى تدهور القوة البرتغالية في الشرق، بسبب تحكم الأسبان في السياسة الخارجية للبرتغال، ونفور البرتغاليين من

(١) مصطفى النجار. شركة الهند الشرقية. ص ١٠٢ — ١٠٣.

الحكم الاسباني الذي أولى اهتمامه للحروب الاسبانية، وفرض الضرائب الباهظة لتمويل هذه الحروب، على حساب حكومة البرتغال في الشرق وعلى حساب السيطرة البرتغالية في الهند والخليج العربي[١].

(٢) تصدى الدولة العثمانية للسيطرة البرتغالية في الخليج العربي والبحر الأحمر، طوال القرن العاشر وتمكنهم من السيطرة على عدن والاحتفاظ بالبحر الأحمر بحيرة إسلامية، وإحباطهم لكل المحاولات البرتغالية لتكوين جبهة مسيحية مع الأحباش[٢].

وأدت هذه السياسة إلى إرهاق القوة البرتغالية باستمرار حيث كان عليها أن تواجه العثمانيين في عدة ميادين ووسط شعور عام بالسخط عليهم من قبل الأهالي المسلمين الذين وقفوا في معظم الاحيان بجانب العثمانيين باعتبارهم حماة الإسلام.

(٣) السياسة التجارية السيئة التي اتبعها البرتغاليون، وهي استغلالهم لخيرات الشعوب الخاضعة لهم بشكل بشع،

---

(١) لوريمر. نفس المرجع. ص ٢٢؛
Macgregor, op. cit. P. 614; Milles, op. cit. P. 181; **Encyclopaedia Britannica**, Article Portugal.

(٢) السيد رجب حراز. عصر النهضة. ص ٣٢٥.

وحرمان هذه الشعوب حق المتاجرة باتباع وسائل النهب والقرصنة، وسياسة الاستغلال عن طريق تكديس البهارات والمتاجر الأخرى وحملها إلى البرتغال.

يضاف إلى ذلك عدم كفاءة الإدارة البرتغالية حيث يعين نائب الملك في الهند لمدة ثلاث سنوات — وهي مدة قصيرة جدا — فكان هدفه وهدف موظفيه هو جمع الثروة في أقصر مدة ممكنة وذلك على حساب الأهالي الضعفاء[1].

(٤) حركة المقاومة الاسلامية العنيفة في الخليج العربي ضد البرتغاليين، حيث تتابعت الانتفاضات ضدهم. وعمل أبناء الخليج العربي على التخلص منهم بالعديد من الوسائل والمحاولات، كما مدوا يد العون للدولة العثمانية حينما تدخلت في الخليج العربي لمواجهة النفوذ البرتغالي، مما ساعد على تفتيت واضعاف القوة البرتغالية القابعة في الخليج العربي.

(٥) سيطرة البرتغال وهي الدولة الصغيرة النائية على خط المواصلات الطويل إلى الشرق. وللمحافظة على هذا الخط كان على البرتغال أن تواصل إرسال الأساطيل والحاميات

---

(١) Chttick, op. cit. P. 231;
السيد رجب حراز. عصر النهضة. ص ٣٢٦.

إلى الشرق، مما شكّل عبئا ثقيلا على ثروتها واقتصادها، كما أجبرها على استخدام العبيد والمرتزقة في الشرق ليشكلوا جزءاً كبيرا من حامياتها في المراكز التجارية، وأدى عدم اخلاص هؤلاء العبيد والمرتزقة في كثير من الأحيان الى خسارة البرتغاليين[1].

(٦) ظهور المنافسة الأوروبية خاصة الهولندية والانكليزية[2] على سيادة الطرق التجارية إلى الشرق. وقد جاءت هاتان القوتان إلى الشرق أكثر تسليحا وأعظم قوة، مما أتاح للهولنديين والانكليز فرصة التفوق على البرتغاليين.

وأخيرا فإن هذه هي أهم نتائج النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى، هذه النتائج التي امتدت آثارها على منطقة البحر الأحمر وعلى جنوب شبه الجزيرة العربية، وعلى القوى الإسلامية في شرق أفريقية.

---

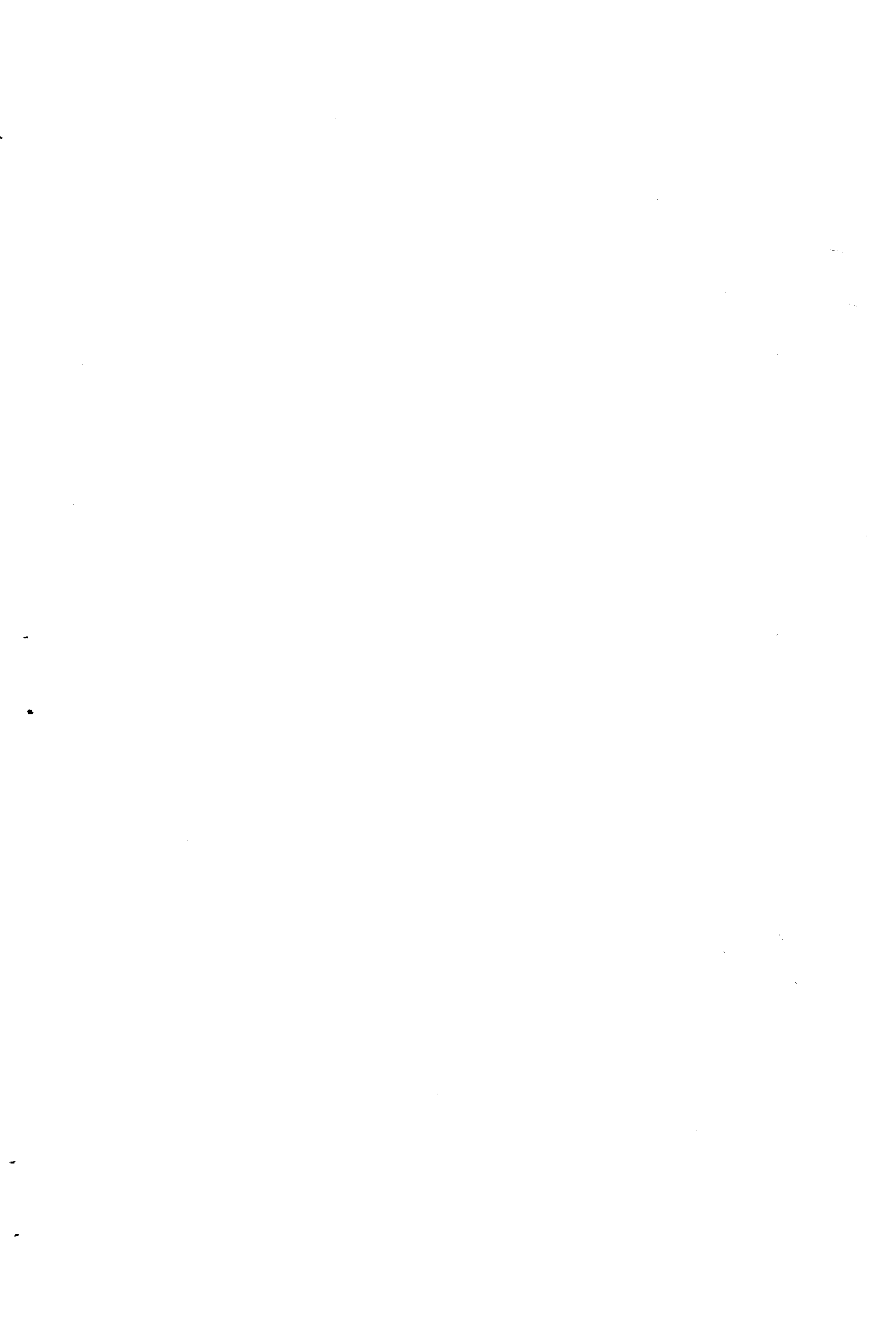
(١) Chttick, op. cit. P. 231; Macgregor, op. cit. P. 613,
صلاح العقاد. نفس المرجع. ص ٢١ — ٢٢.

(٢) Milles, op. cit. P.P. 184 - 185;
صلاح العقاد. نفس المرجع. ص ٢١ — ٢٢.



الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها البحث



أهم النتائج التي توصل إليها البحث

رأينا في الفصول السابقة أن البحث ألقى أضواء جديدة على منطقة الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. فقد أوضحت الدراسة أن هناك عوامل كثيرة جعلت هذا المعبر المائي أكبر وأعظم منطقة لعبور تجارة الشرق أواخر العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. وساعد على ازدهاره وثرائه عوامل أهمها الموقع الفريد للخليج العربي على طريق التجارة بين الشرق والغرب، وصلاحية موانئه المتعددة للملاحة، ورعاية الدول الإسلامية الكبرى من حوله للتجارة المارة فيه.

واستمر هذا الازدهار حتى قدوم البرتغاليين الى المحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري.

ولم تنقطع المتاجر الشرقية عن الخليج العربي عبر الطريق البرى الموصل إلى سواحل الشام حتى خلال فترات الاضطراب والفوضى التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية في بغداد، مما يجعلنا نلمس الفرق بين النشاط التجاري وحالة الأمن في منطقة الخليج العربي قبل قدوم البرتغاليين إلى البحار الشرقية وبعد

قدومهم. فقد حوّل البرتغاليون الطرق التجارية الى أوكار للقرصنة البرتغالية للقضاء على النشاط التجاري الإسلامي في الخليج.

وشرح البحث كيف أن الصراعات والتفكك السياسي الذي ساد الإمارات العربية وفارس والعراق في القرن التاسع الهجري، قد مهد لتغلغل النفوذ البرتغالي في الخليج العربي مع بداية القرن العاشر الهجري. وأبلغ دليل على ذلك هو عدم وجود قوة إسلامية كبرى مجاورة للخليج تسرع للدفاع عنه عند الغزو البرتغالي المفاجئ.

وبرهن البحث على أن العوامل الدينية الصليبية كانت من أهم عوامل قيام حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية. فقد سعى البرتغاليون لإيجاد منطقة جديدة لضرب المسلمين خاصة عندما اشتعل الحقد الصليبي ضد الإسلام والمسلمين بعد فتح العثمانيين للقسطنطينية وتوسعهم في أوربا الشرقية، خلال القرن التاسع والعاشر الهجري.

ومن النتائج الهامة التي توصل اليها البحث أنه كان للبحارة العرب المسلمين الفضل الأول في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن العاشر الهجرى. وأبلغ دليل على ذلك أن مؤلفات أحمد بن ماجد وسليمان المهرى، وهما من أشهر البحارة والعلماء العرب المسلمين في علوم البحار، أمدت

البرتغاليين وغيرهم بالمعلومات والخبرات الهامة التي ساعدتهم على العبور إلى الهند ، واستفاد كل من البحار البرتغالي بارثلميو دياز، الذي اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وفاسكو دى جاما الذي وصل إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح ، من علوم وخبرات العرب .

ويعتبر دى جاما اول برتغالي مارس تطبيق الأهداف الصليبية ضد المسلمين في المشرق، كما وضع ركائز عمليات القرصنة البحرية البرتغالية في المحيط الهندي.

ومن أهم النتائج التي ترتبت على كشف طريق رأس الرجاء الصالح هو تحقيق الأهداف الصليبية التي خطط لها البرتغاليين قبل قدومهم إلى الشرق. فقد استطاع البرتغاليون فعلاً الالتفاف حول العالم الإسلامي من ناحية الجنوب، والقضاء على المصالح التجارية للمسلمين في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر. كما جعلوا من هذه المناطق الآمنة مناطق صراع شرسة ضد الإسلام والمسلمين.

ومن الأساليب التي اتبعها البرتغاليون في تحويل طريق التجارة المار عبر الخليج العربي والبحر الأحمر الى طريق رأس الرجاء الصالح هو مهاجمة هذين المعبرين. ونجح البرتغاليون بالنسبة للخليج العربي أما البحر الأحمر فقد تصدت لهم سلطنة المماليك في مصر وأغلقت في وجوههم هذا البحر، ثم جاء العثمانيون فأكملوا مهمة سلاطين المماليك وأبقوا البحر الأحمر بحراً إسلاميا خالصا.

واستخدم البرتغاليون وسائل الارهاب والقرصنة البحرية ضد السفن الإسلامية التجارية. وأسسوا مراكز لهم في سواحل شرق افريقية لمراقبة السفن المتجهة إلى البحر الأحمر. ولا شك أن هذه الوسائل جرّت الخراب على أعظم طريقين تجاريين لتجارة الشرق وهما الخليج العربي، والبحر الأحمر.

واستطاعت الدراسة أن توضح حقيقة تعرض الخليج العربي في بداية القرن العاشر الهجرى لعمليات غزو وحشية صليبية من قبل البرتغاليين، اتضحت من خلالها أبشع عمليات انتهاك حقوق الانسان من تدمير وإحراق المدن الآمنة، ونهبها، واحراق المساجد والتمثيل بالأسرى. والفتك بالشيوخ والاطفال والنساء، وفرض الضرائب الباهظة على أهالي المدن بعد تدميرها. كما دمر البرتغاليون المراكز التجارية والبحرية في الخليج العربي عن طريق احراق الموانئ بما فيها من السفن الراسية وممارسة أعمال القرصنة، بالاستيلاء على كل سفينة ومركب تجارى يمر فيه، وفرض الرقابة على السفن بواسطة الحاميات العسكرية التي أقاموها في المراكز التجارية. وبذلك حوّل البرتغاليون هذا المعبر المائي المزدهر إلى مخزن للتجارة فقط يسوده الخراب.

وألقت الدراسة ضوءا هاما على دور أبناء الخليج العربي في إضعاف النفوذ البرتغالي خلال القرن العاشر الهجرى مما عجّل بتدهوره في نهاية ذلك القرن.

ورغم الامكانيات العسكرية الضئيلة، استطاع أبناء الخليج الصمود أمام القوة البرتغالية، ورفضوا الخضوع لسطوة البرتغاليين ونفوذهم، وعبروا عن ذلك بانتفاضاتهم المستمرة ضد الغزو البرتغالي، ومقاتلة الحاميات العسكرية البرتغالية الموجودة في المراكز التجارية، وقطع خطوط الإمدادات عن تلك الحاميات . ولجأ أبناء الخليج أيضا الى الدولة العثمانية باعتبارها القوة الإسلامية الكبرى القائمة في تلك الفترة التاريخية.

وساهمت الدولة العثمانية بنصيب كبير في التصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي، فقامت بإرسال الحملات المتتابعة إليه. ورغم فشل كثير من تلك الحملات العثمانية إلا أنها أثرت تأثيرا كبيرا في إضعاف النفوذ البرتغالي، وفي تشتيت قواه وتفتيت جهوده، بحيث عجلت في تدهور القوة البرتغالية في الخليج العربي مع نهاية القرن العاشر الهجرى.

ولا شك أن النزاع الذي كان سائدا بين العثمانيين والصفويين ساعد بشكل مباشر في اضعاف قوة المسلمين عامة، مما حال دون القضاء على البرتغاليين في المحيط الهندى والخليج العربي قضاء حاسما ونهائيا. ولم يستفد من هذا النزاع إلا أعداء الإسلام المتربصون به وأولهم الصليبيون الأوروبيون.

ونتيجة لتصدى الدولة العثمانية للنفوذ البرتغالي في الخليج قام البرتغاليون بمهاجمة المراكز التجارية الإسلامية في مدخل البحر

الأحمر، وحاولوا الوصول إلى الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولكن يقظة الدولة العثمانية حالت دون تحقيق ذلك الحلم الصليبي.

وأرسل العثمانيون حملات عسكرية إلى الهند للتصدي للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي، ولفك الحصار عن التجارة العربية الإسلامية المارة فيه. وهذا يؤكد لنا أن الدولة العثمانية لم تتجاهل النفوذ البرتغالي في الشرق وانما بذلت ما في طاقتها للتصدي للبرتغاليين.

وسعى البرتغاليون لعقد تحالف صليبي مع الأحباش في شرق أفريقية للقضاء على حركة الجهاد الإسلامي بين مسلمي شرق افريقية، والتصدي للدولة العثمانية، لتحقيق أهدافهم ومشروعاتهم الصليبية. وفشل البرتغاليون في تحقيق ذلك.

ومن نتائج البحث أن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجرى أثار انتباه بعض القوى الأوربية الأخرى لأهمية ثروات الشرق وخيراته وأهمية موقع الخليج العربي كمعبر لتجارة الشرق. فكان هذا النفوذ البرتغالي بداية عصر استعمار صليبي جديد تمثل في الشركات التجارية الهولندية والانكليزية والفرنسية.

وتدهور النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي لعدة أسباب أهمها ازدياد حركة المقاومة الإسلامية، ووفود

القوى الأوربية الأخرى الى تلك البحار، وكانت بداية فترة جديدة في تاريخ الخليج العربي.

والله الموفــق،،،،

قائمة المصادر والمراجع

أولا — المصادر العربية

— ابن أبي السرور البكرى (ت ١٠٦٠ هـ/١٦٥٠م)

* المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات، بجامعة الدول العربية بالقاهرة، برقم ١١٠٥/تاريخ

— ابن الاثير (على ابن أبي الكرم الشيباني، (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)

* الكامل في التاريخ، جـ ٥، بيروت ١٩٦٧م.

— ابن اياس (محمد بن أحمد، ت ٩٣٠/١٥٢٣م)

* بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، جـ ٤، ٥، القاهرة — فيسبادن، ١٩٦١م.

— ابن بطوطة (محمد بن ابراهيم اللواتى، (ت ٧٧٩ هـ/١٣٧٧م)

* تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت ١٩٦٤م.

— ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م)

* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ ١٢، القاهرة، ١٩٥٦م.

— ابن خرداذبه (عبيدالله بن عبدالله، ت ٣٠٠ هـ/٩١٢م)

* المسالك والممالك، ليدن ١٨٨٩م.

— ابن الديبع (ابي الضياء عبدالرحمن بن علي، ت ٩٤٤ هـ/١٥٣٧م)

* قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد بن علي الأكوع، جـ ٢، القاهرة، ١٩٧٦م.

— ابن رسته (أحمد بن عمر، ق ٣ هـ)

* الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩١م.

— ابن طولون (شمس الدين محمد، ت ٩٥٣ هـ/١٥٤٦م)

* مفاكهة الخلان في حوداث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، جـ ١، ١، القاهرة، ١٩٦٤م.

— ابن العماد (ابو الفلاح عبدالحي، ت ١٠٨٩ هـ/١٦٧٨م)

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ ٧، ٨، القاهرة، ١٩٣٣م.

— ابن ماجد (شهاب الدين أحمد، ق ١٠ هـ)

* ثلاث أزهار في معرفة البحار، تحقيق ثيودور شوموفسكي، ترجمة محمد منير مرسي، القاهرة، ١٩٦٩م.

* كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق ابراهيم خورى، وعزة حسن، دمشق، ١٩٧١م.

— ابن المطهر (عيسى بن لطف الله، ت ١٠٤٨ هـ/١٦٣٨م)

* روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، برقم ٢/٢٦٢ تاريخ.

— أبو الفدا، (اسماعيل بن محمد بن عمر، ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م)

* تقويم البلدان، باريس، ١٨٤٠م.

— الاصطخرى (ابراهيم بن محمد الفارسي، ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧م)

* المسالك والممالك، تحقيق محمد الحيني، القاهرة، ١٩٦١م.

— بامخرمه (عبدالله الطيب بن عبدالله، ت ٩٣٧ هـ/١٥٣٠م)

* تاريخ ثغر عدن، جـ ١، ٢، ليدن، ١٩٢٦م.

— **حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله، ت ١٠٦٧ هـ/١٦٥٦م)**

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، ١٩٤١م.

— **الحموي (ياقوت بن عبدالله، ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)**

* معجم البلدان، جـ ١، ٣، ٥، بيروت ١٩٧٧م.

— **الحميرى (محمد بن عبدالمنعم، ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤م)**

* الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥م.

— **زين الدين (ق ١٠ هـ)**

* تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتكاليين، لشبونه، ١٨٩٨م.

— **السالمى (محمد شيبه بن نور الدين)**

* نهضة الاعيان بحرية عمان، مخطوط بدارة الملك عبدالعزيز، الرياض، برقم ٩٥٣/٥/م س.

— **السخاوي (محمد بن عبدالرحمن، ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٦م)**

* الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزءا، القاهرة، ١٣٥٣ هـ — ١٣٥٥ هـ.
* التبر المسبوك في ذيل السلوك، القاهرة، بدون تاريخ .

ـ الشوكاني (محمد بن علي، ت ١٢٥٠ هـ/١٨٣٤م)

* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ ١، ٢، بيروت.

ـ الشيلي، (جمال الدين ابي العلاوي محمد، ت ١٠٩٣ هـ/١٦٨٢م)

* السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة، برقم ٦٩٩/ تاريخ.

ـ طاشكبرى زادة (احمد مصطفى، ت ٩٦٨ هـ/١٥٦٠م)

* مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق كامل بكرى وعبدالوهاب أبو النور، القاهرة، ١٩٦٨م.

ـ الطبرى (ابو جعفر محمد جرير، ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م)

* تاريخ الرسل والملوك، جـ ١٢، بيروت.

ـ العيدروسي، (محيي الدين عبدالقادر بن شيخ، ت ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م)

* النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تصحيح محمد الصفار، بغداد، ١٩٣٤م.

ـ الغزى (نجم الدين بن محمد بدر الدين، ت ١٠٦١ هـ/١٦٥٠م)

* الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق

جبرائيل سليمان جبور، أجزاء ١ ــ ٣، بيروت، ١٩٤٥م.

ــ المسعودى (علي بن الحسين بن علي، ت ٣٤٦ هـ/١٩٥٧م)

* مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبدالحميد، جـ ١، بيروت، ١٩٧٣م.

ــ المقدسي (محمد بن أحمد، ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥م)

* أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦م.

ــ المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي، ت ٨٣٤ هـ/١٤٣٠م)

* السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عاشور، جـ ٣، ٤، القاهرة، ١٩٧٢م.

ــ المهرى (سليمان بن أحمد بن سليمان، ق ١٠ هـ)

* العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خورى، جـ ١، دمشق، ١٩٧٠م.
* المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر، تحقيق ابراهيم خورى، جـ ٢، دمشق، ١٩٧٠م.
* شرح تحفة الفحول في تمهيد الاصول في أصول علم البحر، تحقيق ابراهيم خورى، جـ ٣، دمشق، ١٩٧٢م.

ــ النهروالى (قطب الدين محمد بن أحمد، ت ٩٨٨ هـ/١٥٨٠م)

* البرق اليماني في الفتح العثماني، تحقيق حمد الجاسر، الرياض ١٩٦٧م.

* الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، جوتنجن ١٨٥٧م.

— اليمانى (يحيي بن الحسين بن الإمام القاسم، ت ١١٠٠ هـ/١٦٨٨م)

* أنباء ابناء الزمن في تاريخ اليمن، مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة، برقم ١٣٤٧/تاريخ .
* غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، جـ ٢، القاهرة، ١٩٦٨م.

ثانيا ــ المراجع العربية والمعرّبة

ــ أحمد دراج

* المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجرى، القاهرة ١٩٦١م.
* إيضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الأحمر منذ مطلع القرن ٩ هـ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، الموسم الثقافي لعام ١٩٦٨/٦٧م.

ــ أحمد فضل العبدلي

* هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

ــ أحمد مصطفى أبو حاكمه

* تاريخ شرقي الجزيرة العربية ــ نشأة وتطور الكويت والبحرين، ترجمة محمد أمين عبدالله، بيروت، ١٩٦٥م.

ــ أرنولد، (توماس)

* الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن ابراهيم وعبدالمجيد عابدين، القاهرة، ١٩٧٠م.

— **اسماعيل سرهنـــك**

* حقائق الأخبار عن دول البحار، ٣ أجزاء، القاهرة/١٣١٢ هـ.

— **السيد رجب حراز**

* الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٧٠م.
* اريتريا الحديثة، القاهرة، ١٩٧٤م.
* عصر النهضة، القاهرة، ١٩٧٤م.

— **أنور عبدالعليـــم**

* ابن ماجد الملاح، القاهرة، ١٩٦٦م.

— **بانيكـــار.**

* آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٦٢م.

— **جمال الدين الشيـــال**

* تاريخ دول أباطرة المغول الاسلامية في الهند، الاسكندرية، ١٩٦٨م.

— **حوراني، (جورج فضلو)**

* العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، القاهرة، ١٩٥٨م.

— ديـل ، (شارل)

* البندقية : جمهورية ارستقراطية ، ترجمة أحمد عزت عبدالكريم ، وتوفيق اسكندر ، القاهرة ، ١٩٤٧م.

— دائرة المعارف الإسلامية

* مواد ، سفالة ، الحبشة ، الحويزه ، بغداد ، بندر عباس ، صحار ، حلب ، بيرى رئيس ، شهاب الدين ، البصرة.

— ريسلـــر ، (جـاك)

* الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، القاهرة.

— رانسيمان (ستيفن)

* تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩٦٧م.

— سالم الرشيـــدي

* محمد الفاتح ، بيروت ، ١٩٦٩م.

— سعيـد عاشـــور

* الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٧١م.

— سعيد عوض باوزير

* صفحات من التاريخ الحضرمي ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ.

ـــ سليمــان العسكرى

* التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٧٢م.

ـــ سيد نوفــل

* الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، جـ ١، القاهرة، ١٩٦١م.

ـــ سيديــو.

* تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، دمشق، ١٩٦٩م.

ـــ شينـــى.

* تاريخ العالم الغربي، ترجمة مجد الدين حفني ناصف، القاهرة.

ـــ صــلاح العقــاد

* التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٤م.

ـــ عبدالحميد البطريــق

* من تاريخ اليمن الحديث، ١٩٦٩م.

ـــ عبدالرحمن فهمــي

* النقود العربية، ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤م.

— عبدالعزيز الشنـاوي

* أوربا في مطلع العصور الحديثة، جـ ١، القاهرة، ١٩٧٧م.

— عبدالعزيز نـوّار

* العلاقات العراقية الإيرانية، القاهرة، ١٩٧٤م.
* تاريخ العرب الحديث، جـ ١، القاهرة، ١٩٧٦م.

— عبدالله الحبيـد

* سفارة الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم الى البلاط الملكي في عاصمة الحبشة جوندار، مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة، العدد الثالث لعام ١٣٩٨/٩٧ هـ.

— عبدالمجيد عابدين

* الحبشة والعرب، القاهرة.

— عبدالنعيم حسنين

* ايران في ظل الإسلام، القاهرة، ١٩٧٠م.

— فاروق عثمان أباظه

* عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، القاهرة، ١٩٧٦م.

— فيشـــــر.

* أوربا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، جـ ٢، القاهرة، ١٩٥٤م.

— قدرى قلعجـــي

* الخليج العربي، جـ ١، بيروت، ١٩٦٥م.

— لوبـــون، (غوستاف)

* حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة.

— لوريمـــــر.

* دليل الخليج، القسم التاريخي، جـ ١، قطر.

— لونكريك، (ستيفن)

* أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد، ١٩٤١م.

— مـــــتز، (آدم)

* الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد أبو ريده، جـ ٢، بيروت، ١٩٦٧م.

— محمد بن خليفة النبهاني

* التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية، جـ ١، بغداد، ١٣٣٢ هـ.

— محمد بن عبدالله الاحسائي

* تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد علق عليه حمد الجاسر، جـ ١، الرياض، ١٩٦٠م.

— محمد عبداللطيف البحراوي

* فتح العثمانيين، عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر، القاهرة، ١٩٧٩م.

— محمد عبدالله عنان

* نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، جـ ٤، القاهرة، ١٩٦٦م.
* مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، القاهرة، ١٩٦٩م.

— محمد فريـــد

* تاريخ الدولة العليّة العثمانية، بيروت، ١٩٧٧م.

— محمد مصطفى زيادة

* نهاية سلاطين المماليك في مصر، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، المجلد الرابع العدد الاول في مايو سنة ١٩٥١م.

— مصطفى عبدالقادر النجار

* شركة الهند الشرقية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٦، سنة ١٩٧٨م.

— **نعيم زكى فهمي**

* طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٧٣م.

— **هاملتون جب وهارولد بوون**

* المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد مصطفى، جـ ١، ٢، القاهرة، ١٩٧١م.

— **هونكــه، (زيغريد)**

* شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، بيروت، ١٩٦٤م.

— **يســرى الجوهرى**

* الكشوف الجغرافية، الاسكندرية، ١٩٦٧م.

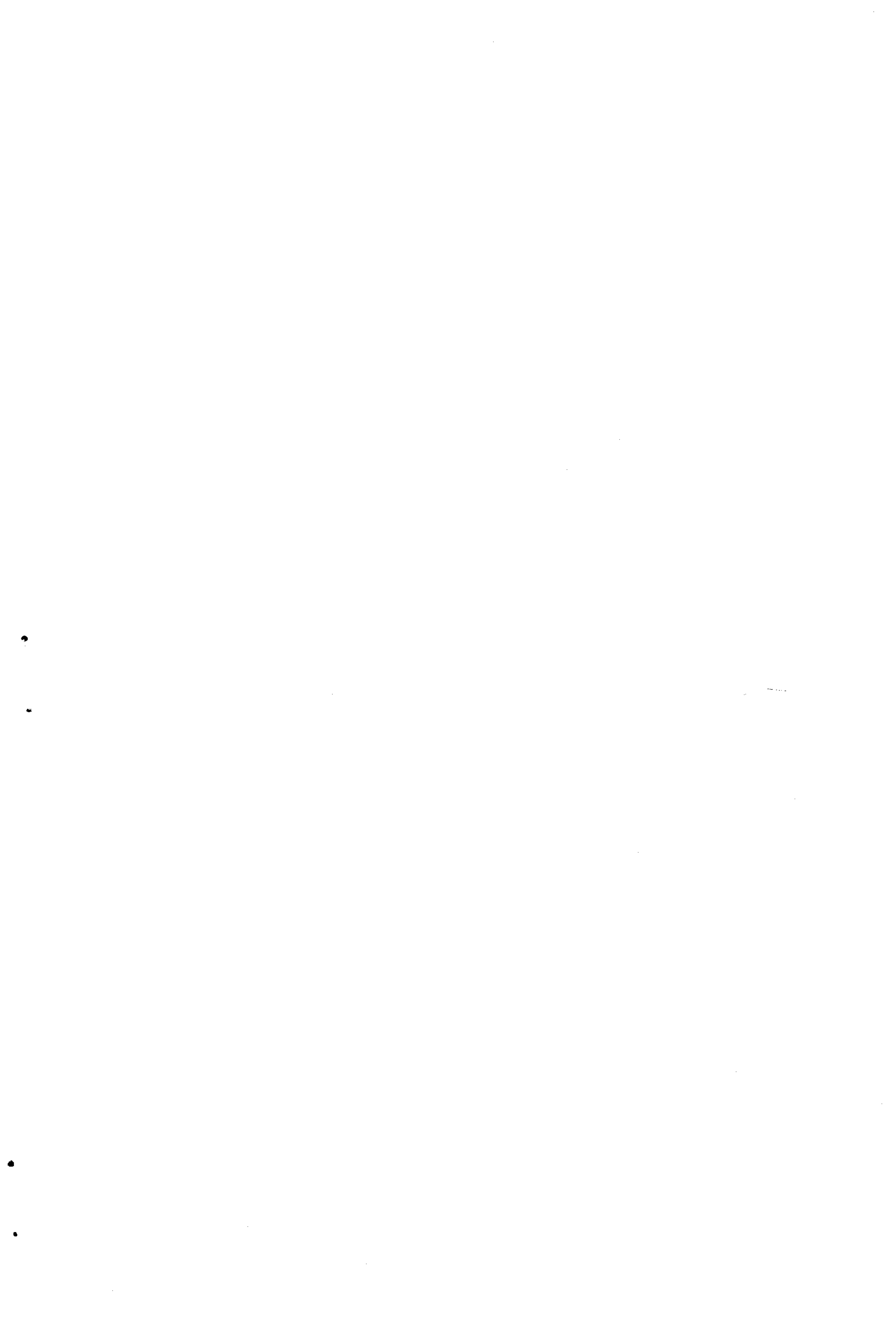
ثالثا — المصادر والمراجع الأوربية

__ Bell, Christopher: Portugal and the Quest for the Indies. (London, 1974).
__ Cook, M.A: A history of the Ottoman Empire, (London, 1976).
__ Encyclopaedia Britannica.
__ Every man's Encyclopaedia.
__ Inalcik, Halil: The Ottoman Empire, (London, 1975).
__ Milles, S.B: The Countries and tribes of the Persian Gulf, (London, 1966).
__ Rabie, Hassanein: Political Relations between the Safavids of Persia and the Mamluks of Egypt and Syria in the early Sixteenth Century

بحث في مؤتمر التاريخ بمدينة ديترويت، الولايات المتحدة الامريكية، سنة ١٩٧٧م.

__ Serjeant, R.B: The portuguese of the South Arabian Coast (Beirut, 1974).
Shaw, Stanford: History of the Ottoman Empire and Modern Turkey Volume (1) (New York. 1976).
__ Sousa, Faria, The history of the Discovery and Conquest of India by the Portuguese; Translated into English, by John Stevens, Volumes, 1, 2, 3, (London, 1894).
__ The Cambridge history of Africa, Volume (3) (London, 1977).
__ The Cambridge history of Islam Volume (1) (London, 1970).
__ The New Cambridge Modern History Volume (2) (London, 1958).


فهرس محتويات الرسالة



الصفحة

الصفحة

فهرس الخرائط

مطابع دار الهلال للأوفست
الرياض : تلفون ٤٠١٥٢٦٨